

الفصل الرابع

الإدغام والإظهار

- أ- الإدغام في الأصوات الحلقية
- ب- الإدغام في الأصوات اللهوية و الطبقية
- ج- الإدغام في الأصوات الشجرية
- د- الإدغام في الأصوات الذلقية
- هـ- الإدغام في الأصوات النطعية والنثوية
- و- الإدغام في الأصوات الشفوية

تمهيد

الإدغام^(١) من أبرز ظواهر التشكيل الصوتي ، وبخاصة في القراءات القرآنية. يهدف في عمومه إلى إقتصاد الجهد العضلي حين النطق طلباً للتخفيف ، وسعياً إلى الانسجام بين الأصوات حيث يتأثر صوت بآخر مجاور له ، إذا كان بينهما تماثل أو تقارب في المخرج أو الصفات من نحو مد في (مدد) وقصت في (قصت) ، فالأول مماثل ، والثاني مقارب.

ومعناه اللغوي إدخال الشيء في الشيء ، فيقال : دغم الغيث الأرض إذا غشيها ، و أدغم اللجام في فم الفرس : أدخله في فيه. قال الأزهري : وإدغام الحرف في الحرف مأخوذ من هذا^(٢) والإدخال كما ذكر ابن فارس أحد أصول هذه المادة^(٣) وفي هذا الشأن يقول الخليل : "اعلم أن الراء في اقشعرو اسبطر هما راءن أدغمت واحدة في الأخرى والتشديد علامة الإدغام".^(٤)

والإدغام يقال له كذلك الإدغام بالتشديد وهما سواء ، فالأول من ألفاظ الكوفيين ، والثاني من ألفاظ البصريين^(٥) وضده الإظهار أو الفك أو البيان ، وهي أوضح المصطلحات في التراث العربي.

ومعناه في الاصطلاح "رفع اللسان بالحرفين دفعة واحدة ، والوضع بهما موضعاً واحداً إذا التقى المثلان في كلمة والأول ساكن وكانا همزتين والأولى تلي الفاء".^(٦) والحال بالنسبة للمتكلم أن يتلفظ بساكن فمتحرك بلا فاصل من مخرج واحد. ويوضح الأستاذ عبدالرحمن الحاج صالح كيفية التلفظ بالإدغام قائلاً : "فإذا أدغم حرف في آخر ابتداءً الناطق بهما بحبس النفس وبما أن موضعهما واحد فإنه لا يحتاج إلى أن يطلق نفسه لينتقل إلى مخرج الحرف الآخر. بل يبقى احتباسه وتكون مدته أطول مما هو في الحرف الواحد ثم يطلق نفسه. فزيادة المدة في توتر العضلات يظهر الحرفان كأنهما حرف واحد مشدد"^(٧) وشرح ذلك هو أن ينطق المتكلم "بحرفين مثليين أو متقاربين حرفاً مشدداً عليه ، وغالباً ما يكون الحرف الأول في الأصل ساكناً والثاني متحركاً دون أن يكون بينهما فاصل ، ثم تتم عملية إدغام الساكن الأول في الثاني

١- ينظر الكتاب ٤٢٧/٤ ، والمقتضب ١٩٧/١ ، ٢٢٦ ، والأصول ٤٠٥/٣-٤٣٠ ، والتكملة ص ٢٧٣-٢٨٠ والخصائص ١٣٩/٢-١٤٥ والمقدمة الجزولية ص ٣١٢ ، و شرح المفصل ١٥٥-١٢١/١ والممتع ٢٢٩/٢ والمقرب ١٥٠/٢ ، والتسهيل ص ٣٢٠ والشافية ٢٢٤/٣ ، و نزهة الطرف ص ١٧٤ و ارتشاف الضرب ١٦٣/١.

٢- اللسان ، مادة (دغم).

٣- مقاييس اللغة ، مادة ، (دغم). والأصل الثاني في الألوان ومنه الدغمة في الخيل : أن يخالف لون الوجه لون سائر الجسد ولا يكون إلا سواداً ، ومن أمثال العرب : "الذئب أدغم".

٤- العين ٤٩/١.

٥- شرح ابن يعيش ١٢١/١٠.

٦- ارتشاف الضرب ١٦٣/١ و شرح المفصل ١٢١/١٠ و ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ص ٨٧.

٧- الحاج عبد الرحمن صالح ، مسائل في مصطلحات التجويد ، مجلة اللسانيات عدد ٦ ، ص ١٨.

المتحرك. وهو الأصل في الإدغام وكيفية عند النحاة^(١)

إن الإدغام تغيير صوتي يحدث بين حرفين متماثلين أو متقاربين في المخرج أو الصفة أو فيهما معا ؛ وذلك بأن يؤثر الأقوى مخرجا أو صفة في الآخر فيصنغ عليه بعض صفاته أو كلها ، هذا الأصل. وقد يحصل على غير قياس في بعض الحالات فيكون بقلب الحرف الآخر إلى جنس الأول لعل صوتية يمتنع فيها إدغام الأول في الثاني مثل مذتكر و مزتجر وفاندته تخفيف اللفظ لنقل النطق بالحرفين المتفقين في المخرج أو المتقاربين حتى شبه النحويون النطق بهما بمشي المقيد ؛ يرفع رجلا ثم يعيدها إلى موضعها أو إلى قريب منه.

وكان لعلماء العربية اهتمام كبير بظاهرة الإدغام ، واعتبروها من سنن العرب في كلامهم ، فرسموا لها القوانين ، وحدودا لها الشروط وحاولوا تفسيرها ، وتعليل أسبابها ، وعينوا القبائل التي تميل إلى النطق بالإدغام. وأغلبها القبائل التي هي أقرب إلى البدو ، والتي نزحت إلى البصرة والكوفة والشام. وكذلك القبائل التي تميل إلى الإظهار وبخاصة القبائل التي استقرت في بيئة الحجاز ، التي كانت بيئة حضارة نسبيا ، والتي يتأني أهلها في نطقهم ، فيميلون إلى تحقيق الأصوات ولا يخلطون بينها على الرغم من وجود ظاهرة الإدغام فيها ، ولكن ليست بالمقدار الذي يشيع في بيئات أخرى. "إن الإدغام أو تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض ظاهرة صوتية تحدث كثيرا في البيئات البدوية حيث السرعة في نطق الكلمات ومزجها ، بعضها ببعض فلا يعطى الحرف حقه الصوتي من تحقيق أو تجويد في النطق به"^(٢).

و إذا كان العلماء قد اعتنوا بهذه الظاهرة في العربية عموما ، فإنهم كانوا أشد عناية بها في القرآن الكريم ، وبأنواع قراءاته ، صحيحها وشاذها ، لأنها ترتبط بطرق الأداء للنص الديني ، ومن عدل عن أدائه على غير وجوهه المشروعة أثم في تغييره.

وبعد سبويه أول من حلل ظاهرة الإدغام تحليلا دقيقا إلى حد كبير ، منهيها بها كتابه

بعدما مهد لها بمخارج الحروف وصفاتها ،^(٣) وصنفها كالآتي :

- ١ - الإدغام في الحرفين اللذين تضع لسانك لهما موضعاً واحداً.^(٤)
- ٢ - الإدغام في الحرفين المتقاربين من مخرج واحد.^(٥)
- ٣ - الإدغام في حروف اللسان والثنايا^(٦)
- ٤ - الإدغام في ألفاظ شاذة^(٧)

١ - عبدالله بوخلخال ، التحليل الصوتي للتغيرات الصرفية عند النحاة العرب ، ص ٢٩.

٢ - ابراهيم أنيس ، في اللهجات العربية ، ص ٦١ وجاء الفلك كثيرا في رسالة الشافعي ، ص ٧٩ ؛ ٢١١-٢١٣-٢٣٨-٢٤٤

٣ - الكتاب ٢٧/٤ وما بعدها.

٤ - ٥ - نفسه ٢٧/٤

٦ - نفسه ٤٥/٤

٧ - نفسه ٤٦٠/٤

هذه هي الأقسام التي تشكل موضوع الإدغام عند سيبويه ، وقد تناقلها النحاة بعده ، وصارت سنة متبعة ، فوقفوا عند حدودها ، ولم يحدوا عنها إلا قليلا - وكنا قد ذكرنا فئة منهم في بداية موضوع الإدغام - واقتدى بجمهور النحاة علماء التجويد والقراءات ، ورووا أن الإدغام يكثر وروده على السنة قراء البصرة والكوفة والشام ويقل لدى قراء مكة والمدينة.

وقسموه إلى نوعين في العربية : صغير وكبير

١- الصغير : وهو الأصل في الإدغام ، فيه يكون الحرف الأول من المثلين أو المتقاربين ساكنا ، والحرف الثاني متحركا ، وحدده علماء القراءات في تسعة أحرف ، يجمعها قولك "ذل ثرب دفنت" (١).

٢ - الكبير : فيه يكون الحرف الأول متحركا ، فتسقط حركته أو تنقل إلى الساكن قبله ، ويسكن ، ثم يدغم في الثاني ؛ ولذلك سمي كبيرا لأنه يمر بمرحلتين ، التسكين ثم الإدغام (٢). قال سيبويه : " وجميع ما أدغمته وهو ساكن يجوز لك فيه الإدغام وهو متحرك" (٣) وسواء أكان ذلك في المثلين أم في المتقاربين.

و المماثلة (Assimilation) هي التعديلات التكميلية للصوت بسبب مجاورته - ولا نقول ملاصقته - لأصوات أخرى" (٤) وتكون تقدميه أو رجعية :

١ - التقدمية (Progressive) وتكون بتأثير السابق على اللاحق ، مثل قلب تاء الافتعال دالا بعد الزاي في نحو أزدجر وأصلها أزجر ، تأثرت التاء بالزاي المجهورة فتحولت إلى مقابلها المجهور وهو الدال. (٥).

٢ - الرجعية (Regressive) وهي عكس الأولى ، وتكون بتأثير الثاني على الأول قبل تحويل تاء الافتعال إذا كانت واوا إلى تاء كقولنا : اتعد أصلها اوتعد (٦) وما هذا التغيير إلا ضرب من التأثير الذي يقع في الأصوات المتجاورة ، فيختفي أحد الصوتين ، ويفنى في الآخر ما لم يمنع مانع من ذلك ، وسنتحدث عن هذه الموانع.

يقرر علماء العربية وجوب إدغام الحرفين - المثلين أو التقاربين في الكلمة الواحدة أو الكلمتين المتجاورتين - إذا كان أول الحرفين ساكنا أو قابلا للتسكين ، والثاني متحركا ، وكان هذا الإجراء النطقي لا يؤدي إلى لبس أو غموض. فمن الممكن

١- إبراز المعاني ٢٥٣/١ والاتقان ٢٦٧/١.

٢- نفسه ٢٥٤/١ وهو المشهور عن أبي عمر و بن العلاء وينظر الاتقان ٢٦٣/١

٣- الكتاب ٤/٦٦؛ و المقتضب ١٩٧/١

٤- عبدالرحمن أيوب ، التطور اللغوي ، ص ٢٣ و أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص ٣٢٤

٥- أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ، ص ٣٢٥ و تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ص ٣٧٩

٦- إبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ، ص ١٨٠ و برتيل ، علم الأصوات ، ترجمة عبد الصبور شاهين ص ١٤١.

أن يحصل الإدغام في جميع الحروف باستثناء الألف والهمزة وهاء السكت ؛ لأن الألف حرف مد (حركة مطولة) ، والحركات لا يكون فيها الإدغام ، إنما يكون في الصوامت ^(١) ولأن الهمزة إذا جاورت مثلتها وجب تخفيفها بتسهيّلها أو قلبها واوا أو ياء أو ألفا ، وهذه الثلاثة لا تدغم في الهمزة ^(٢) وما أدغمت الهمزتان إلا في باب تضعيف العين في نحو فعل وفعال ، فهذه زيادة بالتضعيف.

وكان أبو حيان قد ذكر الإدغام في نحو قرأ أبوك، قال : وهي لغة رديئة ^(٣) ولا يجوز سيبويه هذا الضرب من الإدغام ^(٤) أما هاء السكت إذا تلتها هاء أخرى كقوله تعالى (ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه) الحاقة ٢٨/٢٩ فإن أبا حيان روى الوجهين : الإظهار والإدغام ^(٥) وهو ما تفرد به ورش ، والإدغام ضعيف من جهة القياس. و رسمت هاء السكت في المصحف من أجل الوقف ، فهي لغة قوم من العرب ، يؤتى بها زائدة ساكنة للوقف ، فإن كان الوصل سقطت في درج الكلام ، فهي قسيم همزة الوصل ، ومن اعتد بالرسم العثماني ^(٦) ، و أثبت الهاء في الوصل فما لسه إلا الإدغام لأنهما مثلان حينئذ.

وينقسم الإدغام إلى واجب و ممتنع وجائز :

٢٠١ الواجب ، ويكون في الحالات الآتية :

أ- إذا تماثل الحرفان باتفاقهما مخرجا وصفة كالداالين واللامين.

و ما أدغم منه في القرآن إلا سبعة عشر حرفا هي : الباء والتاء و الثاء والحاء والراء والسين والعين والغين والفاء والقاف و الكاف واللام والميم والنون والهاء والواو والياء. ^(٧)

واختلف أهل الأداء في إدغام ما جزم الحرف الأول فيه ، ولخصه ابن الجوزي بقوله : "و المختلف فيه الجزم" ^(٨) ، فذهب قوم إلى أن الجزم يمنع من الإدغام ، وذهب آخرون إلى عدم الاعتداد به و أدغموا ^(٩) ومن أمثله في القرآن الكريم قوله (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً) آل عمران ٨٥/٣ وقوله (أقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم

١- ينظر الكتاب ٤/٤٦؛ و المقتضب ١/١٩٨ و شرح المفصل ١٠/١٣٦ و الممتع ٢/٦٣٣ ، ونزهة الطرف ، ص ١٧٤.

٢- الفارسي ، التكملة ، ص ٢٧٦

٣- ارتشاف الضرب ١/٣٣٢

٤- الكتاب ٤/٤٣؛

٥- ارتشاف الضرب ١/٣٣٣ و اتحاف فضلاء البشر ص ٤٢٣

٦- طبع القرآن بثلاث روايات : رواية ورش وقالون عن نافع وحفص عن عاصم ، وهي كلها تثبت هاء السكت وتشد الهاء التي تليها هكذا : (ماليه هلك).

٧- النشر ١/٢٧٩ والاتحاف ص ٢١ و الإيضاح ص ٥٣ و الاتقان ٢/٢٦٤

٨- نفسه ١/٢٧٩

٩- التيسير ، ص ٢١

وجه أبيكم) يوسف ٩/١٢ ، والوجهان في الشاطبية وصحهما في النشر (1) ، كما اختلفوا في إدغام اللام في قوله : (آل لوط) الحجر ٥٩/١٥-٦١ وفي النمل [٥٦/٢٧] (2) وفي القمر [٢٤/٥٤] (3) فادغمها أبو عمرو وجماعة (4) وأظهرها آخرون ، وعللوا الإظهار بقلة الحروف ، لأن القلة و الكثرة معتبرة في نظرهم (5) وهذا ليس بشيء. والأولى التحليل بتكرار إعلال عينه إذ أصل (آل) عند سيبويه (أهل) فقلبت الهاء همزة توصلا إلى الألف ثم أبدلت الهمزة ألفا لاجتماع الهمزتين ، وأصلها عند الكوفيين (أول) فانقلبت الواو ألفا لانفتاح ما قبلها (6) واختلفوا كذلك في الواو إذا وقع قبلها ضمة في ثلاثة عشر موضعا مثل قوله (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم) آل عمران ١٨/٣ ، فقرأ أبو عمرو بالإدغام (7) وبه أخذ أكثر المصريين والمغاربة ، وبالإظهار أخذ أكثر البغداديين وأختاره ابن مجاهد (8).

ب- إذا تجانس الحرفان باتفاقهما مخرجا وتقايرهما صفة كالتاء والطاء

ج- إذا تقارب الحرفان مخرجا أو صفة كاللام والراء عند سيبويه (9).

إن الإدغام في المتجانسين أو المتقاربين يكون في كلمة اصطلاحية وفي كلمتين ؛ فاما ما كان في واحدة فلم يدغم فيه إلا القاف في الكاف إذا تحرك ما قبل القاف ، وكان بعد الكاف ميم جمع من نحو خلقكم و رزقكم ، ووجه الإدغام فيها كثرة الحروف والحركات ، فإن لم تتحقق الشروط السابقة فلا خلاف في إظهاره ماعدا كلمة (طلقن) التحريم ٦٦/٥. فعلى الخلاف لكرهية اجتماع ثلاثة تشديدات ، فادغمها أبو عمرو في رواية عباس بن الفضل البصري (10)

و أما ما كان من كلمتين فإن المدغم من الحروف في مجانسها أو مقاربها ستة عشر حرفا هي : الباء والتاء والثاء والجيم والحاء الدال والذال والراء والسين والشين والضاد والقاف والكاف واللام والميم والنون ، وجمعت في

١ - النشر ٢٨٥/١ وغيث النفع ص ٢٥٥-٢٥٦-٢٤١

٢ - غيث النفع ، ص ٣١٤ والمبوط ص ٩١

٣ - نفسه ، ص ٣٦١

٤ - منهم يعقوب والدوري والسوسي واليزيدي وابن عباس ، الاتحاف ص ٢٧٦ والنشر ٢٨١/١ والإقناع ١٩٦/١

٥ - النشر ٢٨٢/١ وإبراز المعاني ٢٦٦/١

٦ - الاتحاف ص ٢٢ والصناعة ١١٢/١

٧ - البحر ٤٠٣/٢ والمبسوط ص ٩١

٨ - الاتحاف ص ٢٢

٩ - الكتاب ٥٢/٤ ؛ النشر ٢٧٨/١ والاتحاف ص ٣١

١٠ - البحر ٢٩١/٨ والاتحاف ص ٢٢ ، قال أبو حيان : في رواية ابن عباس "وهو تصحيف .

قولك : رض سنشد حجتك بذل قثم. (١)

٢٠٢ = المحتج : ولا يكون الإدغام إذا كان أول الحرفين مشددا كقوله تعالى : (ذوقوا مس سقر) القمر ٤٨/٥٤ أو منونا كقوله (سارب بالنهار) الرعد ١٠/١٢ أو تاء ضمير للمتكلم أو للمخاطب كقوله (كنت ترابا) النبأ ٤٠/٧٨ وقوله (أفأنت تكره الناس) يونس ٢٩/١٠ ، لأن التاء فاعل ، والإدغام تقريب من الحذف ، والفاعل لا يحذف إلا إذا دللت عليه بعض القرائن ، وعلمه ابن مجاهد بقلة حروف الضمير. (٢)

٢٠٣ = الجائز : وهو القسم الذي جرت عليه خلافات في الأداء بين القراء ، وهو قسمان أ- إدغام حرف من كلمة في حروف متعددة من كلمات متفرقة ، وينحصر في إذ وقد وتاء التانيث وهل وبـ. (٣)

- ١- إذ: اختلف القراء في إدغامها عند ستة أحرف: التاء والجيم والذال والزاي والسين والصاد
- ٢- قد: اختلف فيها عند ثمانية أحرف: الجيم والذال والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء.
- ٣- تاء التانيث: اختلف فيها عند ستة أحرف : التاء والجيم والزاي والسين والصاد والطاء.
- ٤- هل : اختلف فيها عند ثلاثة أحرف : التاء والتاء والنون.
- ٥- بل : اختلف فيها عند سبعة أحرف: التاء والزاي والسين والضاد والطاء والنطاء والنون.
- ب- إدغام حرف في حرف من كلمة أو كلمتين حيث وقع ، وهو المعبر عنه بحروف قربت مخرجها. وهي حروف من كلمات مخصوصة جاءت مفرقة في القرآن لاتدخل تحت قاعدة ، وتحتصر في سبعة عشر حرفا ، الباء عند الفاء ، والباء عند الميم ، والفاء عند الباء والراء الساكنة عند اللام ، واللام الساكنة عند الذال والذال عند التاء ، والتاء عند الذال ، والذال عند التاء والتاء عند التاء والذال عند الذال والنون عند الواو والنون عند الميم ، ويلحق بهذه النون النون الساكنة والتتوين خاصة (٤)
- لقد استعمل القرآن الكريم الإدغام والإظهار على حد سواء ، وكلاهما فصيح ، وجاء ذلك في مواضع كثيرة منها قولها تعالى (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله) الأنفال ١٢/٨ ، قال أبو حيان : أجمعوا على الفك في (يشاقق) إتباعا لخط المصحف ، وهي لغة الحجاز ، وبالإدغام لغة تميم (٥) كما ذكر أن الجمهور قرأ

(ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله) الحشر ٤/٥٩ بالإدغام (١) وهذا نموذج

١ - الاتحاف ص ٢٢ والإيضاح ص ٥٥

٢ - السبعة ، ص ١١٧ والمبسوط ص ٩١ ، والإيضاح ص ٥٤ ، والاتقان ٢٦٤/١

٣ - النشر ٢/٢-٣ ، والإيضاح ص ١٠١ وما بعدها ، والاتقان ٢٦٧/١

٤ - نفسه ٢/٢-١٢ وما بعدها ، والاتحاف ص ٢٩ وما بعدها ، والإيضاح ص ١٠٠ وما بعدها.

٥ - البحر ٤/٢٤٤ وينظر الإمام الشافعي ، الرسالة ، للتدليل على الإظهار ص ٢٣٨-٤٦٤-٤٧٩

(ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله) الحشر ٥٩؛ بالإدغام^(١) وهذا نموذج واضح في أن القرآن الكريم استعمل فعلا واحدا بالإظهار مرة وبالإدغام أخرى. والإدغام في القرآن كثير جدا ، واشتهر به أبو عمرو من دون القراء وفي شأنه يقول : "الإدغام كلام العرب الذي يجري على ألسنتها ولا يحسنون غيره"^(٢) وذكر ابن الجزري رواة الإدغام الكبير وهم أبو عمرو والحسن البصري وابن محيصن والأعمش وطلحة بن مصرف وعيسى بن عمر ومسلمة بن عبدالله الفهري ومسلمة ابن محارب السدوسي ويعقوب. ومعظم من روي عنهم الإدغام اتصلوا في أخذ قراءاتهم بعمر بن الخطاب (ص) ، وأربعة لم يتصلوا به وهم : ابن أبي إسحق الحضرمي وعاصم ودرباس مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح^(٣) وقل الإدغام في قراءة الحرمين. قال أبو بكر : " كان نافع لا يكاد يدغم إلا ما كان إظهاره خروجاً من كلام العرب إلا حروفاً يسيرة".^(٤)

وحسبنا من هذه الظاهرة بعض الأمثلة التي توضحها ، وبخاصة ما اختلفوا فيه ، وتباينوا في أدائه وما وصف بالشذوذ وحفلت به كتب القراءات والتفسير ، واعتنى به العلماء وشرحوه بشيء من الصرامة كذا بهم في مثل هذه القضايا ؛ لأنه يتعلق بأداء آيات القرآن على الوجه المأثور عن كبار الصحابة ، وفي الوقت ذاته يعد تطورا لغويا حيث يستجيب لنزوع المتكلم إلى الاقتصاد في الجهد العضلي طلبا للانسجام والتخفيف كما أنه مجال للتيسير على الناس في القراءة بحسب تنوع لهجاتهم. ويغلب على اعتقادنا أن ظاهرة الإدغام في العربية تتجه نحو التعميم لتشمل كثيرا من الأصوات ولا تقف عند حدود ما رسمه العلماء قديما ، فذاك يتعلق بفترة زمنية قد تحدد الاستعمال فيها بالمستوى الفصيح ، ولا شك في أن الاستعمال الحر للدارجة يبين بوضوح مختلف التغيرات. تعرض أبوحيان في تفسيره إلى مسائل كثيرة من الإدغام موضحا أوجه القوادة فيها سواء أكانت متواترة أم شاذة ، مبينا اختلاف القراء ، مرجحا في كثير من الأحيان ، ومعللا في بعض الحالات.

١ - نفسه ٢٤٤/٨

٢ - عبدالصبور شاهين ، أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، ص ٨٩

٣ - النشر ٢٧٥/١

٤ - السبعة ص ١١٢ وما بعدها.

أ- الإدغام في أصوات الحلق

حروف الحلق عند القدماء ستة : الهمزة والهاء من أقصى الحلق، والعين والحاء من وسطه والغين والحاء من أدناه مما يلي الفم^(١) ولكن الدرس اللغوي أنحديث يقرر أن لاحتلقي إلا العين والحاء. أما الهمزة والهاء فهما حنجریتان ، وأما الغين والحاء فهما طبقيتان^(٢) وقد يدغم بعضها في بعض للمقاربة إما في المخرج وإما في الصفات. غير أن ذلك قليل جدا بسبب ثقلها في النطق وبعدها عن مخارج حروف اللسان يقول سيبويه : "ليست حروف الحلق بأصل للإدغام"^(٣)

وتكاد أمثلة القرآن تخلو من إدغام أصوات الحلق إلا في بعض القراءات القليلة ، والتي اختلف فيها.

١-٤ الهمزة : لاتدغم إلا في مثلتها بشرطة أن تكون عينا في باب فعل وفعال نحو سألوسال فإن كانت غير هذا انقلبت إلى واو أو ياء أو ألف ، وهذه الثلاثة لاتدغم في الهمزة ،ونقل أبوحيان في أحد كتبه الإدغام في نحو قرأ أبوك ، وقال :هي لغة رديئة^(٤).
٢-٤ الهاء : تدغم في أختها إذا كانتا عينين في مثل مهد وشهاد ، ونقل عن أبي عمرو أنه قرأ قوله تعالى (فيه هدى) البقرة ٢/٢ بإدغام الهاء في أختها لأنهما مثلان^(٥) والقوانين الصوتية تسوغ هذا الإدغام.

وتدغم كذلك في مقاربها في المخرج وهو الحاء "قلولا هتة في الهاء لأشبهت الحاء"^(٦) وذلك في مثل قولك : اجبه حملا "والإدغام فيها عربي حسن لقرب المخرجين لأنهما مهموسان رخوان"^(٧) و لكن قبل إدغامها تتحول إلى حاء للمماثلة، فيقال : اجبحملا ، وكذلك إدغامها في العين ، فتتحول كل من الهاء والعين إلى حاءين ثم تدغم الحاء في الحاء كقولهم : دحا ومحا أي دحها ومعها وهذا قول منسوب إلى الزجاج^(٨) ، وروى ابن خالويه قراءة يحيى بن وثاب لقوله تعالى (ألم أعهد) يس ٦٠/٣٦ بالإدغام^(٩) وذلك بعد قلب الهاء والعين إلى حاءين ثم أدغم الأول في الثاني فصار (ألم

١- الكتاب ٤/٤٣٣ والمقتضب ١/١٩٢ والأصول ٣/٤٠٠ وصناعة الاعراب ١/٥٢ وشرح المفصل ١٠/١٢٦

٢- رمضان عبدالتواب ، المدخل إلى علم اللغة، ص ٦١ وكمال بشر ، علم اللغة العام ، الأصوات ١٤٢

٣- الكتاب ٤/٤٥١ وينظر المقتضب ١/٢٠٨

٤ - ارتشاف الضرب ١/٣٣٢

٥- معاني الأخف ١/١٧٩ واعراب النحاس ١/١٧٩ وحجة ابن خالويه ص ٦٣ وحجة أبي زرعة ص ٨٣

٦ - العين ١/٥٧

٧- الكتاب ٤/٤٤٩

٨ - البحر ٧/٣٤٣ و ارتشاف الضرب ١/٣٣٥

٩ - شواذ ابن خالويه ص ١٢٥

أحد) وهي لغة تميم ^(١) يقول سيبويه : "و مما قالت العرب تصديقا لهذا الإدغام قول بني تميم : محم. يريدون : معهم ، ومحاؤلاء. يريدون : مع هؤلاء" ^(٢) ونقل أبو حيان قراء ' طلحة لقوله تعالى (معها) ق ٢١/٥٠ بالحاء مثقلة أي (محا) فأدغم العين في الهاء بعد انقلابهما حاءين كما قالوا : محم يريدون معهم ^(٣).

فالحاء أخف منهما وأقرب إلى الفم منهما : "لأن الأقرب إلى الفم لا يدغم في الذي قبله" ^(٤) بل يتحول الأثقل إلى الأخف وفاقا للدراسات الصوتية التي رسمت منهج التخفيف ، ومحصلة القول : أن الهاء لا يدغم فيها صوت آخر ، بل تتحول هي إلى الصوت الذي يليها في المخرج يقول ابن عصفور : "وأما الهاء فليس لها من مخرجها ما يدغم فيها وتدغم فيه لأنها من مخرج الألف والهمزة فلم يبق لها ما تدغم فيه إلا ما هو من المخرج الذي يلي مخرجها" ^(٥).

٣:٤ العين: تدغم في الحاء على لفظ الحاء لأنهما من مخرج واحد، فهما متماثلان مثل اقطحبلا تريد : اقطع حبلا ، فالعين مجهورة والحاء مهموسة ، والمهموس اخف من المجهور ^(٦) فلولا الهمس والرخاوة لكانت الحاء عينا ^(٧) والبيان حسن ، والإدغام حسن ، لأنهما من مخرج واحد ^(٨) . وذكر الداني إدغام الحاء في العين في قوله تعالى (فمن زحزح عن النار) آل عمران ١٩٥/٣ في هذا الموضع لا غير. روى ذلك منصوفا أبو عبد الرحمن بن اليزيدي عن أبيه عنه و أظهرها فيما عدا هذا الموضع ^(٩) ولا يكون هذا الإدغام إلا على لفظ الحاء ، فإذا قلبت العين حاء جاز الادغام ^(١٠).

٤:٤ الغين: تدغم في الخاء أو العكس ، فإن أردت الإدغام فيهما قلبت الأول إلى جنس الثاني ، وأدغمت على الأصل كقولك : ادمخلفا. تريد : ادمغ خلفا ، وقولك ، اسلخنمك تريد : اسلخ غنمك ^(١١) والبيان حسن ، لأن الغين مجهورة والحاء مهموسة ، فشبهت بالحاء مع العين ، وروي عن أبي عمرو إدغام الغين في الغين في قوله تعالى

^١ - البحر ٣٤٣/٧ ، وينظر المقتضب ٢٠٨/١

^٢ - الكتاب ٤٥٠/٤

^٣ - البحر ١٢٤/٨ وينظر المقتضب ٢٠٨/١

^٤ - الكتاب ٤٤٩/٤

^٥ - الممتع ٦٧٩/٢

^٦ - الكتاب ٤٥٠/٤ و ارتشاف الضرب ٣٣٦/١

^٧ - التمهيد ص ١٣٥

^٨ - الكتاب ٤٥١/٤ والمقتضب ٢٠٧/١

^٩ - السير ، ص ٢٣ و ارتشاف الضرب ٣٣٥/١ و إبراز المعاني ٢٨١/١ و الإيضاح ص ٥٧

^{١٠} - الكتاب ٤٥١/٤ والمقتضب ٢٠٧/١

^{١١} - الكتاب ٤٥١/٤ و ارتشاف الضرب ٣٣٦/١ والمقتضب ٢٠٩/١

(ومن يبتغ غير الإسلام ديناً) آل عمران ٨٥/٣ لاغير^(١) وهو من المختلف فيه بسبب قلة حروفه إذ حذف حرف العلة للجزم. يقول الداني: "قأهل الأداء مختلفون فيه فمذهب ابن مجاهد وأصحابه الإظهار، ومذهب أبي بكر الداجوني وغيره الإدغام، وقرأته أنا بالوجهين"^(٢)، يقول المبرد: "وادغام العين والحاء في الخاء والغين يجوز في قول بعض الناس ولم يذكر ذلك سيبويه ولكنه مستقيم في اللغة، معروف جائز في القياس؛ لأن الغين والحاء أدنى حروف الحلق إلى الفم"^(٣) والوجه في قلة إدغام هذه الحروف أن إخراج أحدها من الحلق ثقيل، فإذا اجتمع حرفان منهما كانا أثقل والادغام يشند به الحرف ويغلظ فاشتداد اللفظ بالثقل يتقل، وكلما كان الحرف أدخل في الحلق كان أبعد من الإدغام.

^١ - البحر ٥١٧/٢.

^٢ - التسيير، ص ٢١.

^٣ - المقتضب ٢٠٨/١.

ب-الإدغام في الأصوات اللهوية والطبقية

القاف والكاف لهويتان عند الخليل^(١)، وهما من أقصى اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى عند سيبويه ومن تبعه^(٢)، ولكن القاف لهوية والكاف طبقية في نظر المحدثين^(٣). نقل أبو حيان قراءة خارجة عن نافع لقوله تعالى (ما شاء ركبك كلا بل تكذبون) الانفطار ٨/٨٢ بالإدغام، وهو كقراءة أبي عمرو في إدغامه الكبير^(٤)، كما نقل قراءة الجمهور لقوله تعالى (ومن يشاق الله) الحشر ٤/٥٩ بالإدغام وقراءة طلحة بالإظهار وكلاهما حسن^(٥).

والكاف والقاف يدغم أحدهما في الآخر لقربهما مخرجا وصفة، ولا يدغمان في غيرهما، ولا يدغم غيرهما فيهما، والبيان حسن^(٦) فالقاف تدغم في الكاف إذا تحرك ما قبلها في نحو (ينفق كيف يشاء) المائدة ٦٤/٥، ووردت في أحد عشر موضعا، والكاف تدغم في القاف في نحو (ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون) البقرة ٢٠/٢، ووردت في اثنين وثلاثين موضعا^(٧).

و أثر عن أبي عمرو أنه كان يدغم القاف في الكاف إذا كان ما قبل القاف متحركا وكانت الكاف متبوعة بميم الجمع مثل خلقكم و رزقكم ويخلقكم ويرزقكم^(٨) ووجه الإدغام كثرة الحروف والحركات، ومن هذا الإدغام قراءة أبي رجاء (بورقكم) الكهف ١٩/١٨ بكسر الواو وإسكان الراء (بورقكم) وإدغام القاف في الكاف، وكذا إسماعيل عن ابن محيصن، وعن ابن محيصن كذلك إلا أنه كسر الراء ليصح الإدغام^(٩) قال أبو الفتح: "هذا ونحوه عند أصحابنا مخفي غير مدغم لكنه أخفى كسرة القاف فظنها القراءة مدغمة - ومعاذ الله - لو كانت مدغمة لوجب نقل كسرة القاف إلى الراء كقولهم يرد [...] و للقراء في نحو هذا عادة أن يعبروا عن المخفي بالمدغم وذلك للطف ذلك عليهم"^(١٠).

^١ - العين ٥٨/١

^٢ - الكتاب ٣٣/٤ والمقتضب ٢٠٩/١ و ارتشاف الضرب ٦/١

^٣ - الأصوات اللغوية ص ٨٤ وعلم اللغة العام - الأصوات ص ١٠٨-١٠٩ المدخل إلى علم الدقة ص ٥٢

^٤ - البحر ٣٧/٨، لم يرغم أبو عمرو من المثليين في كلمة واحدة إلا (مناسككم) البقرة ٢٠٠/٢ و (ماسلككم) المدثر ٢/٧٤ ونسب كذلك إلى يعقوب، ينظر النشر ٢٨٠/١ والإتحاف ص ١٥٥.

^٥ - البحر ٢٤٤/٨.

^٦ - الكتاب ٤٥٢/٤.

^٧ - النشر ٢٩٢/١.

^٨ - التيسير ص ٢٢.

^٩ - البحر ١١٠/٦ - ١١١ و إعراب النحاس ٤٥٢/٢.

^{١٠} - المحتسب ٢٤/٢ والحركة المخففة بزنة المتحركة، ينظر المحكم، ص ٨١.

وكذلك قرأ عيسى وطلحة (يخلقكم) الزمر ٦/٣٩ بالإدغام^(١) و أبو عمرو في رواية ابن عباس (طلقن) التحريم ٥/٦٦ بإدغام القاف في الكاف^(٢) و أظهرها آخرون كراهة اجتماع ثلاثة تشديدات^(٣).

و قرأت فرقة منهم ابن وثاب (نحن نرزقك) طه ١٣٢/٢٠ بإدغام القاف في الكاف ؛ وجاء ذلك عن يعقوب ، قال صاحب اللوامح : وإنما امتنع أبو عمرو من إدغام مثله بعد إدغامه (نرزقكم) ونحوها لحلول الكاف منه طرفا وهو حرف وقف. فلو حرك وقفا لكان وقوفه على حركة وكان خروجا عن كلامهم ، ولو أشار إلى الفتح لكان الفتح أخف من ان يتبعض بل خروج بعضه كخروج كله ، ولو سكن لأجحف بحرف ؛ ولعل من أدغم ذهب مذهب من يقول : جعفر وعامل وتفعل فيشدد وقفاً أو أدغم على شرط أن لا يقف بحال فيصير الطرف كالحشو.^(٤)

"وحسن إدغام القاف في الكاف باتفاق النحاة ؛ لأن الكاف أقرب إلى حروف طرف اللسان من القاف فهي أخف منها ، وبعض النحاة يعدها من حروف الحلق " ^(٥) والبيان حسن قال سيبويه : "تدغم القاف مع الكاف كقولك : الحق كلة ، الإدغام حسن والبيان حسن ، و إنما أدغمت لقرب المخرجين و أنهما من حروف اللسان وهما متفقان في الشدة" ^(٦) والمشهور في بيئة القراء وبخاصة مذهب أبي عمرو إدغام القاف في الكاف أو العكس إذا كانا من كلمتين وماقبلهما متحرك وذلك لتقاربهما في المخرج.

١ - البحر ١٧/٧ ؛ و إبراز المعاني ٢٧٦/١

٢ - نفسه ٢٩١/٨ و إبراز المعاني ٢٧٧/١ السبعة ص ١١٨

٣ - الإتخاف ص ٢٢ ، والسبعة ص ١١٨

٤ - البحر ٢٩٢/٦

٥ - التحليل الصوتي للتغيرات الصرفية ، ص ٧١

٦ - الكتاب ٥٢/٤ ؛ والمقتضب ٢٠٩/١

ج- الإدغام في الأصوات الشجرية

الجيم والشين والياء أصوات شجرية لأنها من مخرج واحد^(١) وهي أصوات وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى عند جمهور النحاة.^(٢)

١٠٣ الجيم : لا يدغم فيها من مخرجها شيء ولكن تدغم هي في الشين لتقاربهما في المخرج مثل : يخرج شراب ، قال سيبويه : "الإدغام والبيان حسان لأنهما من مخرج واحد"^(٣) وذكر ابن عصفور أن الطاء والذال والطاء والذال والياء تدغم كلها في الجيم حملا على إدغامها في الشين ، وهي أختها في المخرج^(٤).

وأدغم أبو عمرو الجيم في الشين في قوله تعالى (كزرع أخرج شطأه) الفتح ٢٩/٤٨ وفي التاء في قوله تعالى (ذي المعارج تعرج) المعارج ٢/٧٠-٤^(٥).

٢٠٣ الشين : لا يدغم في مقاربيها ، لأنه حرف قوي به استطالة وتفش ، فكرهوا إدغامه لثلاث تذهب تانك الصفقتان ، وتدغم فيها الجيم كما ذكرنا - وكذلك أصوات طرف اللسان وحافته وهي الطاء والذال والتاء والطاء والذال والتاء ثم اللام والضاد ، فهذه الحروف في حقيقتها بعيدة عن مخرج الشين ولكنها لما أدغمت فيها استطالت بالتفشي حتى اتصل مخرجها بمخرج تلك الحروف ، فجرت مجرى المتقارب في المخرج ، والبيان جيد^(٦) ولكن يجب إدغام اللام في الشين على سبيل اللزوم إذا كانت للتعريف ويجوز إظهارها إذا كانت غير ذلك.

و أدغم أبو عمرو الشين في السين في قوله تعالى (إذا لآبتغوا إلى ذي العرش سبيلا) الإسراء ٢/١٧ لاغير. روى ذلك منصوفا ابن اليزيدي عن أبيه عنه والبصريون لا يجيزون ذلك عن أبي عمرو ، وهو من رؤوسهم^(٧) كما أدغم السين في الشين بخلاف عنه في قوله تعالى (اشتعل الرأس شيئا) مريم ٤/١٩ ، قال الداني : وبالإدغام قرأته^(٨) واما الضاد فأدغمها في الشين في قولها تعالى (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) النور ٦٢/٢٤ لاغير ، نص ذلك السوسي عن اليزيدي عنه. والنحاة لافي لا يجيزون إدغام الشين والضاد إلا في مثلها ، ولكن ثبت بالرواية الصحيحة إدغامهما في غيرهما عن أبي عمرو ، وهو من هو في النحو والقراءة.

١ - العين ٥١/١

٢ - ينظر الكتاب ٤٣٢/٤ والمقتضب ١٩٢/١ وارتشاف الضرب ٦/١

٣ - الكتاب ٥٢/٤ وينظر ارتشاف الضرب ٢٣٥/١

٤ - الممتع ٦٨٧/٢

٥ - إبراز المعاني ٢٨٣/١ والإيضاح ص ٥٧

٦ - الكتاب ٤٦٦/٤

٧ - البحر ٢٨٧/١

٨ - التيسير ص ٢٣ والبحر ٢٨٧/١ وينظر ارتشاف الضرب ٢٢٧/١ والممتع ٧٢٢/٢ والإيضاح

٢٨٢. الياء لا تدغم إلا في مثلها لأن فيها مدا ولينا ، وتدغم فيها الواو سواء تقدمت أم تأخرت ولكن بعد أن تقلب ياء ؛ لأن الياء أخف عليهما من الواو ، والتخفيف غرض الإدغام وغايته ، قال سيبويه : "الياء أخف عليهم من الواو فنحوا نحوها (١) فالياء والواو ، وإن كانتا من مخرجين متباعدين فهما بمنزلة مائتدانت مخرجها لكثرة استعمالهم إياها (٢) فكانهما من مخرج واحد (٣) مثل سيد وميت أصلهما: سيود وميوت. ولا يدغم فيها شيء من مخرجها ولا من غيره من الحروف الصحيحة ، ولا تدغم هي في حرف صحيح ، فلو كان الإدغام بين حرف المد والحرف الصحيح لذهب ماكان فيها من المد واللين ، وهي حروف بائنة من جميع الحروف فلا يمد صوت إلا بها (٤) واستثنى النحاة من ذلك النون فإنها تدغم في الياء بغنة أو بلاغنة من نحو (من يومن) لأن الياء أخت الواو ، وقد تدغم فيها الواو فكانهما من مخرج واحد. (٥)

١٨٢.٢ إدغام الياء في الياء

ذهب الجمهور إلى وجوب الإدغام في لفظ (تحية) كقوله تعالى (وإذا حييتم بتحية) النساء ٨٦/٤ ووزنها تفعلة والمصدر القياسي (تحییي) اجتمعت ثلاث ياءات فحذفت ياء (تفعيل) لتوالي الأمثال قياسا على حذفها في الصحيح نحو (تكرمة) فاجتمع مثلان فكان الإدغام (٦) قال أبو حيان : "وليس الإدغام في هذا الوزن واجبا على مذهب المازني بل يجوز الإظهار كما قالوا : أعيبة بالإظهار ، وأعية بالإدغام في جمع عي (٧) وقرأ الجمهور (إن ولي الله) الأعراف ١٩٦/٧ بياء مشددة ، وهي ياء فاعيل ادغمت في لام الكلمة ، وبياء المتكلم بعدها مفتوحة ، وقرأ أبو عمرو في رواية عنه بياء واحدة مشددة مفتوحة ، ورفع لفظ الجلالة ، قال أبو علي : لا يخلو من أن يدغم الياء التي هي لام الفعل في ياء الإضافة ، وهذا لا يجوز ، لأنه لا ينفك الإدغام الأول أو تدغم ياء فاعيل في ياء الإضافة ويحذف لام الفعل ، فليس إلا هذا ولم يوافقه أبو حيان. وذهب إلى أن (ولي) ليس مضافا إلى ياء المتكلم بل هو اسم نكرة ، اسم (إن) ، ولفظ الجلالة (الله) هو الخبر وحذف من (ولي) التثوين لالتقاء الساكنين. (٨)

وأيسر الوجوه أنه لما اجتمعت ثلاث ياءات : ياء (فعليل) وياء الألف (لامالكلمة) وياء الإضافة ،

١- الكتاب ٢٣٨/٤

٢- نفسه ٤٦٥/٤

٣- نفسه ٤٥٣/٤

٤-المقتضب ٢١٠/١

٥- الكتاب ٤٥٣/٤

٦- البحر ٣٠٤/٣ وينظر الكتاب ٨٣/٤-٣٩٧ والأصول ١٣٢/٣ والمنصف ١٩٥/٢ والممتع ٥٨٠/٢

٧- نفسه ٣٠٤/٣ وينظر إملاء العكبري ص ١٩٦

٨- نفسه ٤٤٦/٤ و معاني الأخفش ١٧٨/١ و شواذ ابن خالويه ص ٤٨ والنشر ٢٧٤/٢ ، ٢٧٥ .

ولتوالي الأمثال حذفت لام الكلمة تخفيفاً - والأواخر أولى بالحذف - وأدغمت ياء فعيل في ياء الإضافة وفتحت على الأصل أو حذفت ياء (فعيل) ، وأدغمت الياء الأخيرة في ياء المتكلم.

ونقل أبوحيان في تفسيره قراءة نافع وغيره (ويحي من حي عن بينة) الانفـال ٢/٨ بالفك وباقي السبعة بالإدغام ، والفك والإدغام لغتان مشهورتان^(١) واختار سيبويه وأبو عبيد قراءة الإدغام ، وأما احتجاج أبي عبيد فإنه في السواد بياء واحدة قال أبو جعفر : هذا الاحتجاج لا يلزم لأن مثل هذا الحذف في السواد ، ولكن اجتماع النحويين الحذاق في هذا أنه لما اجتمع حرفان على لفظ واحد كان الأولى الإدغام كما يقال جف^(٢) وحجة الفك أنه لا يجوز الإدغام في المستقبل فلذلك أتبعوا الماضي المستقبل وأجاز الفراء الإدغام في المستقبل فيقال : (يحي)^(٣).

وهذا عند جميع البصريين من الخطأ الكبير ، ومثله لا يجوز في شعر ولا كلام والعلة في منعه أنه إذا قلت : (يحي) فالياء الثانية ساكنة ، فلم يجتمع حرفان متحركان فيدغم ، وقد كان الاختيار لم يجفف وإن كان يجوز لم يجف فيجوز الإدغام فأما في (يحي) فلا يجوز وأيضاً فإن الياء تحذف في الجزم فهذا مخالف لـ (يجف) ولا يجوز أيضاً الإدغام في (أليس ذلك بقادر على أن يحي الموتى) القيامة ٧٥ / ٤٠ ، لأن الحركة عارضة^(٤).

والحقيقة أن قراءة الإظهار لا تحتاج إلى توجيه لأنها الأصل ، والأصل لا يعمل له وتوجيه قراءة الإدغام أن الحركة للبناء فلزمت الياء فصارت كالحرف الصحيح لذلك أدغم لاجتماع المثليين.

وكذلك قرأ الجمهور (أفعينا) ق ٥٠ / ١٥ بالفك وقرأ ابن أبي عبلة وجماعة^(٥) بتشديد الياء من غير إشباع في الثانية هكذا قال أبو القاسم الهذلي في كتاب الكامل ، وقال ابن خالويه في شواذه (أفعينا) بتشديد الياء ابن أبي عبلة^(٦) قال أبو حيان : وفكرت في توجيه هذه القراءة ، إذ لم يذكر أحد توجيهها ، وخرجتها على لغة من أدغم الياء في الياء في الماضي فقال عي في عبي وحي في حيي فلما أدغم ألحقه ضمير المتكلم المعظم نفسه ولم يفك الإدغام فقال (عينا) وهي لغة لبعض بكر بن وائل يقولون في رددت ورددنا : ردت ورددنا فلا يفكون ، وعلى هذه اللغة تكون الياء المشددة مفتوحة^(٧).

^١ - البحر ١/٤ : حجة أبي زرعة ص ٣١١ وفي الإيضاح ص ٢٤٢ : قرأ المدنيان ويعقوب وخلف وأبو بكر والبري و ابن شنبوذ عن قنبل وابن محيصن من المبهج (حيي) بالفك

^٢ - إعراب النحاس ١٨٨/١

^٣ - معاني الفراء ١٢/١

^٤ - إعراب النحاس ١٨٨/٢ - ١٨٩

^٥ - و الوليد بين مسلم والقورصبي عن أبي جعفر والسمسار عن شيبه و أبو بحر عن نافع بتشديد الياء من غير إشباع في الثانية ، ينظر البحر ١٢٢/٨

^٦ - البحر ١٢٢/٨ و ينظر شواذ ابن خالويه ص ١٤٤

^٧ - نفسه ١٢٢/٨

طعن كثير من النحاة في قراءة حمزة وجماعة^(١) لقوله تعالى (وما أنتم بمصرخي) إبراهيم ٢٢/١٤ بكسر الياء. قال الفراء : لعلها من وهم القراء ، فإنه قل من سلم منهم من الوهم ، ولعله ظن أن الباء في (بمصرخي) خافضة للفظ كله ، والياء للمتكم خارجة عن ذلك^(٢) وقال أبو عبيد : نراهم غلطوا ، ظنوا أن الياء تكسر لما بعدها ، وقال الأخفش : ماسمعت هذا من أحد من العرب ولا من النحويين.^(٣) وقال الزجاج : هذه القراءة عند جميع النحويين رديئة مردولة ، ولا وجه لها إلا وجه ضعيف ، وقال النحاس : صار هذا إجماعا ولا يجوز أن يحمل كتاب الله على الشذوذ فليس لياء المتكم إلا الفتح أو التسكين^(٤) وقال الزمخشري : هي ضعيفة ، واستشهدوا لها ببيت مجهول [قائله] (رجز) :

قال لها : هل لك ياتا في . قلت له ما أنت بالمرضي^(٥)

و كأنه قدر ياء الإضافة الساكنة و قبلها ياء ساكنة ، فحركها بالكسر لما عليه أصل التقاء الساكنين ، ولكنه غير صحيح ؛ لأن ياء الإضافة لا تكون إلا مفتوحة حيث قبلها ألف نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء ، فإن قلت جرت الياء الأولى مجرى الحرف الصحيح لأجل الإدغام فكانها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الأصل (قلت) : هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل إليه القياسات.^(٦)

وبعدما سرد أبو حيان رأي الزمخشري وأثبت نصه كاملا شرع في الرد عليه قائلا : "أما قوله : واستشهدوا لها ببيت مجهول فقد ذكر غيره أنه للأغلب العجلي ، وهي لغة باقية في أفواه كثير من الناس إلى اليوم يقول القائل : ما في أفعل كذا بكسر الياء ، وأما التقدير الذي قال : فهو توجيه الفراء ذكره عنه الزجاج.

وما ذهب إليه من ذكرنا من النحاة لا ينبغي أن يلتفت إليه ، واقتضى آثارهم فيها الخلف فلا يجوز أن يقال فيها : إنها خطأ أو قبيحة أو رديئة ، وقد نقل جماعة من أهل اللغة أنها لغة لكنه قل استعمالها ، ونص قطرب على أنها لغة

^١ - منهم يحيى بن وثاب والأعمش ، البحر ١٩/٥ والإيضاح ص ٢٧٥ و يرى اسحق الأزرق عن

حمزة فتح الياء ينظر السبعة ص ٣٦٢

^٢ - معان الفراء ٧٥/٢ والسبعة ص ٣٦٢.

^٣ - معاني الأخفش ٥٩٩/٢.

^٤ - إعراب النحاس ٣٦٨/٣ ، ٣٦٩.

^٥ - والبيت في تذكرة النحاة لأبي حيان ص ٣٤ :

ماض إذا [ما] هم بالمضي : قال لها هل لك ياتا في

^٦ - الكشف ١١٨/٣ و ينظر حجة ابن خالويه ص ٢٠٣ وقرئ (بيدي) ص ٧٥/٢٨ بكسر الياء. البحر

١٠/٧ : وينظر ، القزاز ، ما يجوز للشاعر في الضرورة ، ص ١٥٥.

ففي بني يربوع^(١) وقال القاسم بن معن وهو من رؤساء النحويين الكوفيين هي صواب، وسأل حسين الجعفي أبا عمرو بن العلاء وذكر تلحين أهل النحو. فقال : هي جائزة ، وقال أيضا : لا تبالي إلى أسفل حركتها أو إلى فوق وعنه أنه قال : هي بالخفض حسنة ، وعنه أيضا أنه قال : هي جائزة ، وليست عند الاعراب بذلك ولا التفات إلى إنكار أبي حاتم على أبي عمرو وتحسينها ، فأبو عمرو إمام لغة وإمام قراءة وعربي صريح وقد أجازها وحسنها وقد روي بيت النابغة (طويل) :

علي لعمرو نعمة بعد نعمة : لو ألدته ليست بذات عقارب

بخفض الياء من (علي)^(٢) ولعلمهم زادوا ياء على ياء الإضافة قياسا على حكم الـهاء والكاف حيث مدوا بالواو أو الألف بالإشباع أي (بمصرخي) ثم حذفوا الياء الساكنة الأخيرة اكتفاء بالكسرة قبلها^(٣) أو كسر الياء لالتقاء الساكنين مع أن قبلها كسرة وياء على رأي ابن جني^(٤).

و النتيجة أن معظم البصريين أنكروها وكذلك الفراء من الكوفيين ، لأنه ليس لياء الإضافة إلا الفتح أو السكون ويمتنع فيها الكسر ، ولكن أجاز كسرها أبو عمرو وهو بصري ، بل وحسنها ، وكذلك القاسم بن معن ، وهو كوفي ، وقراءة الكسر صحيحة سماعا كما أنها تصح قياسا على أساس أن كسرة الياء للإتباع أي إتباع كسرة ما قبلها ، والإتباع كثير في العربية ، يلجأ إليه المتكلمون لطلب التخفيف وتقريب الأصوات بعضها من بعض وهذا ما يميل إليه البني من أمثال بني يربوع ، فلا سبيل إلى رد السماع و إبطال القياس ، ويكفي دليلا أنها مازالت إلى اليوم في لسان عوام المشرق العربي وبخاصة منطقة الشام والموصل ، ولا عجب في ذلك لأن بني يربوع - وهذه لغتهم - كانوا يعيشون على الحدود العراقية.

٢-٣-٣ إدغام الياء في الواو

تدغم الواو في الياء سواء تقدمت عنها أم تأخرت للمشابهة بينهما في الاعتلال

^١ - قال صاحب الكافية ٢٩٥/١ : "جاء في لغة بني يربوع الكسر مع الياء قبلها وذلك لتشبيه الياء بالهاء بعد الياء كما في نحو فيه ولديه كقراءة ، حمزة ، وهو عند النحاة ضعيف. وجاء في جمهرة أنساب العرب ص ٢٢٤ أن "يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم وبنوه هم : رياح وثلابة والحارث وعمرو وصبير وكانوا يسمون الأحمال وكليب وغدانه والعنبر وكانوا يسمون العقداء لأنهم تعاقدوا على بني أخيهم رياح وصار الأحمال مع بني رياح ، ونص الألويسي في روح المعاني ١٨٨/١٣ أنها لغة أهل الموصل وكثير من الناس اليوم.

^٢ - البحر ٤١٩/٥-٤٢٠ و تأويل مشكل القرآن ص ٦٢ و املاء العكبري ص ٣٦٤ و التيسير ص ١٣ و النشر ٢٩٨/٢ ، ٢٩٩ و ابراز المعاني ٢٩٤/٣ و مابعدا وتذكرة النحاة ص ٣٠

^٣ - الكتاب الموضح ٧٠٩-٧١٠ والبحر ٢٢٦/٥

^٤ - المحتسب ٤٩/٢

قال سيبويه : "الياء أخت الواو ، وقد تدغم فيها الواو فكانتهما من مخرج واحد" (1) ومن أصول التصريف أنه إذا اجتمعت الواو والياء وكان السابق منهما ساكنا قلبت الواو ياء ، وأدغمت في الياء مثل شويت شياء ، والأصل فيها شويا (2) قالوا وتقلب إلى الياء ولا تقلب الياء إليها ؛ لأن الواو من الشفة وليست من مجمع الحروف وإنما الإدغام يكون بنقل الأتقل إلى الأخف كقولنا أيام والأصل أيوام (3) ويعلل سيبويه الإدغام على نطق الياء بقوله : "الياء أخف عليهم من الواو فتحوا نحوها" (4).

وحلل أبو حيان عديد الأمثلة التي جرى فيها إدغام الواو في الياء بعد قلبها ياء كقوله تعالى : (لا يعلمون الكتاب إلا أمانى) البقرة ٧٨/٢ والأمانى جمع أمنية ووزنها أفعولة وأصلها : أمنوية ، اجتمعت ياء وواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء في الياء (5) وقرأ الجمهور (الحي القيوم) البقرة ٢٥٥/٢ ، فالحي وصف من حيي وقيل أصله حيور ، فقلبت الواو ياء لكسرة ما قبلها وأدغمت في الياء وقيل أصله (فيعل) فخفف كميت في ميت ولين في لين ، وهو لمن قامت به الحياة ، والقيوم على وزن فيعول وأصله قيوم اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت فيها الياء (6) وقرأ ابن مسعود وغيره (القيام) (7) و مما اجتمعت فيه ياء و واو وحصل بينهما الإدغام بعد قلب الواو ياء قوله تعالى (من حلبيهم) الأعراف ١٤٨/٧ وهو جمع حلي و وزنه فعول (8) وكذلك (ديارا) نوح ٢٦/٧١ و وزنه فيعال وأصله : ديوار (9).

وقد اختلف النحاة في وزن (بغى) من قوله تعالى (ولم أك بغيا) مريم ٢٠/١٩ فذهب المبرد إلى أن وزنه (فعول) اجتمعت فيه واو و ياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء ، وكسر ما قبلها لأجل الياء كما كسرت في عصي ودلي ، وقيل : لو كان (فيعل) للحقتهاء التانيث فيقال : بغية ، وقال ابن جني في كتابه (التمام) هي فعيل ، ولو كانت (فعول) لقيل : بغو كمل قيل : فلان نهو ، قيل :

ولما كان هذا اللفظ خاصا بالمؤنث لم يحتج إلى علامة التانيث فصار كحائض وطالق وإنما يقال للرجل باغ ، وقيل :بغى (فيعل) بمعنى (مفعول) كعين كحيل أي مبغية

1 - الكتاب ٣٦٥/٤ و ينظر المقتضب ٢٢٠/١

2 - التحليل الصوتي ص ١٠١ ، وينظر الممتع ٥٤٩/٢

3 - المقتضب ٢٢١/١ - ٢٢٢ .

4 - الكتاب ٣٢٨/٤ و ينظر الشافية ١٢٩/٣

5 - البحر ٢٦٩/١

6 - نفسه ٢٧٧/٢ و ينظر معاني الأخفش ٣٩٤/١ ومجاز القرآن ٧٨/١ وإعراب النحاس ٣٥٤/١ و إملاء العكبري ص ١١٣

7 - البحر ٢٧٧/٢ وكذلك قرأ ابن عمر وعلقمة والنخعي والأعمش ، ينظر البحر ٢٧٧/٢

8 - نفسه ٣٩٢/٤ وينظر الكتاب الموضح ٥٥٥/٢ - ٥٥٦

9 - نفسه ٣٤٣/٨

بطلبها أمثالها^(١) ويظهر مما سبق أن أباحيان على رأي المبرد وهو مذهب المازني وابن عصفور لأن صيغة (فعول) إذا كانت صفة لاتؤنث بالتاء^(٢) وذهب الأخفش إلى أنها مثل ملحفة جديد^(٣)، وهو وصف على (فعيل) وعليه يكون من باب إدغام الياء في الياء.

٢٣٢.٣ إدغام الألف في الياء

تعد الألف من أقوى أصوات العلة مداً، وكثيراً ما تبدل من الواو أو الياء لأنها بمنزلةتهما في قرب المخرج وفي اشتراكها في صفات الإعلال واللين والمد. تدغم الألف في الياء في بعض المواضع، وذلك بعد قلبها ياء، ونقل أبوحيان في تفسيره كثيراً من أمثلة هذا الإدغام وعزاه إلى بعض اللهجات العربية منها قراءة عيسى بن عمر وجماعة^(٤) لقوله تعالى (فمن تبع هداي) البقرة ٢٨/٢ بقلب الألف ياء وإدغامها في ياء المتكلم إذ لم يكن كسر ما قبل الياء لأنه حرف لايقبل الحركة^(٥) وكذلك قرئ (و محيي) بالإدغام من قوله تعالى (إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي) الأنعام ١٦٢/٦^(٦) و أيضاً (يا بشري) يوسف ١٩/١٢^(٧) و (هي عصي) طه ١٨/٢٠^(٨) ونسبها الطبري إلى عامة قراء المدينة^(٩) وقال ابن جني: "قال لي أبو علي: وجه قلب هذه الألف لوقوع ضمير المتكلم بعدها أنه موضع ينكسر فيه الصحيح نحو هذا غلامي ورأيت صاحبي فلما لم يتمكنوا من كسر الألف قلبوها ياء، فقالوا: هذه عصي وهذا فتى أي عصاي وفتاي"^(١٠) و روى الأخفش أنها لغة لبعض العرب^(١١) ونسبها أبوحيان في تفسيره إلى هذيل^(١٢) قال: "وهي لغة هذيل يقلبون ألف المقصور ياء ويدغمونها في ياء المتكلم. قال شاعرهم [أبو ذؤيب] (كامل):

سبقوا هوي وأعنقوا لهوهم : فتخرموا ولكل قوم مصرع^(١٣).

البيت مشهور لشاعر هذلي يرثي به أبناء له خمسة هلكوا بالطاعون في يوم واحد.

١- نفسه ١٨١/٦ و ينظر إملاء العكبري ص ٤٠٨

٢- الممتع ٥٤٩/٢

٣- معاني الأخفش ٦٢٥/٢

٤- منهم عاصم الجحدري وعبدالله بن أبي إسحق وعيسى بن عمر ينظر البحر ١٦٩/١

٥- البحر ١٦٩/١

٦- نفسه ٢٦٢/٤ وهي قراءة عاصم وابن أبي إسحق وعيسى بن عمر.

٧- نفسه ٢٩٠/٥

٨- نفسه ٢٣٤/٦

٩- تفسير الطبري ٣/١٦

١٠- المحتسب ٧٦/١

١١- معاني الأخفش ٢٣٥/١

١٢- البحر ١٦٩/١ و ٢٦٢/٤ و ٢٩٠/٥ و ٢٣٤/٦ و المحتسب ٧٦/١

١٣- نفسه ١٦٩/١ وينظر التسهيل ص ٦٢ والصبان ٢٨٧/٢ وفي ابن عقيل ٩٠/٣ (ولكل جنب مصرع)

وهو من الشواهد النحوية التي تناقلها النحاة في مؤلفاتهم ، ولاسبيل إلى الشك في نسبته : "فقد ورد في دواوين شعر هذيل بهذه الرواية وهكذا روي في كتب اللغة والأنب مع أنه لو روي باللغة الفصحى لما أثر ذلك في استقامة وزنه وموسيقاه ، وهذا يمنع احتمال وقوع الضرورة الشعرية فيه" (1) كما نسب ابن جني وابن خالويه هذه القراءة (هدي) إلى النبي (ص) (2) ولعل هذه الرواية بطابقها ما جاء في حاشية الصبان ونصه : "حكى هذه اللغة عيسى بن عمر عن قريش" (3) وقد جاء في حديث طلحة قوله : فوضعوا اللج على قفي وقالوا : لتبايعن أو لنقتلنك فبايعت وأسامكره ، فقال الزمخشري : (قفي) أي قفائي ، لغة طائية. وكانت عند طلحة امرأة من طي ، ويقال أن طيا لا تأخذ من لغة غيرها ، ويؤخذ من لغاتها (4) ومن المعقول أن يتأثر الشريك بلغة شريكه ، فتجري بعض الألفاظ على لسانه من دون قصد لذلك.

لقد ثبت أن قلب ألف المقصور ياء وإدغامها في ياء المتكلم لهجة لبعض القبائل كهذيل وطي وقريش بل رويت على لسان النبي (ص) ، وإذا ما حاولنا توجيه هذه الرواية وتعليلها ألفينا أن الرسول الكريم قضى سنوات من طفولته في بادية بني سعد مما يجعل هذه اللغة مشتركة بين بعض القبائل البدوية كهذيل وطي وبني سعد ، وقد تكون في الأصل لغة إحدى القبائل ، وتأثرت بها قبائل أخرى بحكم التفاعل والجوار.

وقرأ الجمهور (إنما حرم عليكم الميتة) البقرة ١٧٣/٢ بتخفيف الياء في (الميتة) وقرأ أبو جعفر بتشديد الياء في جميع القرآن ، وهو أصل للتخفيف ، وهما لغتان جيدتان (5) واستشهد أبو عبيدة للغتين بقول عدي بن الرعاء العسائي (خفيف) :

ليس من مات فاستراح بميت : إنما الميت ميت الأحياء (6).

وقال ابن أبي مريم : "وأما يعقوب فإنه شدد جميع ما كان ذا روح وخفف ما لم يكن ذا روح كالأرضين والبلاد" (7) و اختلف القراء بين التخفيف والتشديد ، فقرأ حفص ونافع وحمزة و الكسائي (الحي من الميت) آل عمران ٢٧/٣ بتشديد الياء في (الميت) في هذا الموضع وفي الأنعام ٩٥/٦ وفي الأعراف ٥٧/٧ وفي يونس ٣١/١٠ وفي الروم ١٩/٣٠ وفي فاطر ٩/٣٥ وزاد نافع تشديد الياء في قوله (أو من كان ميتا فأحييناه) في الأنعام ١٢٢/٦ وفي قوله (والأرض الميتة) في يس ٢٢/٢٦ (8) وفي قوله (إن يأكل لحم أخيه ميتا) في

1 - لغة هذيل ص ٧٩ و ينظر المطالع السعيدة ، ص ٤٣٦

2 - المحتسب ٧٦/١ وشواذ ابن خالويه ص ٥-٦٥.

3 - حاشية الصبان ٢٨٧/٢ والمحتسب ٢٣٦/١ وتفسير القرطبي ٣٢٨/١

4 - الفائق في غريب الحديث ٤٣١/٢.

5 - البحر ٤٨٦/١.

6 - مجاز القرآن ١٤٩/١ و ينظر معاني الأخفش ٢٤٧/١ والصناعتين ص ٣٢٤ .

7 - الكتاب الموضح ٣٦٥/١.

8 - جاء في البحر المحيط أن هذه الآية في سورة يونس ، وهو تصحيف ظاهر

الحجرات ١٢/٤٩ وقرأ الباقون بتخفيف ذلك ، وذهب أبوحيان إلى أنه لافرق بين التشديد والتخفيف في الاستعمال كما تقول : لين ولين وهين وهين.^(١)

ويرى سيبويه أن ماسكن من هذه الألفاظ حذفت عنه للتخفيف^(٢) ولكن ابن الجزري يذهب إلى التفرقة بين البنائين لاختلاف المعنى فيقول : "واتفقوا على تشديد ما لم يمت نحو (و ما هو بميت) إبراهيم ١٤/٩٧ و (إنك ميت وإنهم ميتون) الزمر ٣٩/٢٢ لأنه لم يتحقق فيه صفة الموت بعد بخلاف غيره"^(٣) .

ويختتم أبو حيان تحليله قائلاً : "ومن زعم أن المخفف لما قدمات والمشدد لما قدمات ولما لم يمت فيحتاج إلى دليل"^(٤) وفي الحقيقة أن لفظي (الميت والميتة) في القرآن تدلان على الذي قد مات ، وهذا دليل كاف على الفرق بين البنائين في القرآن ، وأما اللفظ المشدد فإنه يحمل المعنيين : للذي قد مات وللذي لم يمت بعد .

و شدد الجمهور الياء في قوله تعالى (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) المؤمنون ١٥/٢٣ وقرأ زيد بن علي وغيره^(٥) (لمانتون) بالالف يريد حدوث الصفة فيقال : أنت مانت عن قليل وميت ، ولا يقال : مانت للذي قد مات. وقال الفراء : إنما يقال في الاستقبال فقط وكذا قال ابن مالك ، وإذا قصد استقبال المصوغة من ثلاثي على غيرفاعل ردت إليه ما لم يقدر الوقوع يعني أنه لا يقال لمن مات : مانت ، وقال الزمخشري : والفرق بين الميت والمانت أن الميت كالحى صفة ثابتة وأما المانت فيدل على الحدث تقول زيد مانت الآن ومانت غدا كقولك يموت ضيق وضائق وذلك في قوله تعالى : (وضائق به صدرك) هود ١١/١٢ وعبر بضائق دون ضيق للمناسبة في اللفظ مع (تارك) وإن كان (ضيق) أكثر استعمالاً لأنه وصف لازم ، وضائق وصف عارض^(٦) وعلل أبو حيان لقراءة ابن كثير لقوله تعالى : (يجعل صدره ضيقاً) الأنعام ٦/١٢٥ ولقوله (وإذا القوا منها مكانا ضيقاً) الفرقان ٢٥/١٢ بتخفيف (ضيق)^(٧) فاحتمل أن يكون مخففاً من (ضيق) كما قالوا (لين) ، وقال الكيساني : الضيق بالتشديد في الأجرام وبالتخفيف في المعاني واحتمل أن يكون مصدراً .

٤٠٣٠٢- إدغام الهمزة في الياء

الهمزة صوت ثقيل في النطق باتفاق العلماء ولذلك مالت بعض القبائل إلى

١ - البحر ٢١/٢ ؛ ومعاني الأخفش ١/٢٤٧ و الكتاب الموضح ١/٣٦٥

٢ - الكتاب ٤/٣٦٦ و المقتضب ١/٢٢٢ و إملاء العكبري ص ٨٢

٣ - النشر ٢/٢٢٥ لقد ورد لفظ (ميتاً) خمس مرات في القرآن ولفظ (الميتة) ست مرات ولفظ (الميت) اثنتي عشرة مرة ولفظ (ميتون) مرتين و (ميتين) مرة واحدة. ينظر المعجم المفهرس مادة (موت) ص ٦٨٠

٤ - البحر ٢/٢١٤

٥ - وابن أبي عبيدة وابن محيصن ، البحر ٦/٣٩٩

٦ - البحر ٥/٢٠٧ والكشاف ١/٩٦ - ٩٧

٧ - نفسه ٤/٢١٨ و ٦/٨٥

تخفيفها بالتسهيل أو الحذف أو القلب ولاسيما قبائل الحجاز.

تدغم الهمزة في الياء بعد قلبها ياء وغالبا ماتكون متطرفة مسبوقة بياء ، وقد حلل أبو حيان نماذج من هذا الإدغام في تفسيره ؛ منها : الذرية من قوله تعالى (قال ومن ذريتي) البقرة ١٢٤/٢ فهي مشتقة من ذررت أو ذريت أو ذرا الله الخلق ، فاما الضم فيجوز أن تكون ذرية فعلية من ذرا الله الخلق وأصلها ذرينة فخففت الهمزة بإبدالها ياء كما خففوا همزة (النسي) فقالوا : النسي ، ثم أدغموا الياء التي هي لام الفعل في الياء التي هي للمد ويجوز أن تكون فعولة من ذروت ، الأصل ذرووة أبدلت لام الفعل ياء. اجتمع واو وياء ، واو المد والياء المنقلبة عن الواو التي هي لام الفعل ، وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت واو المد ياء وأدغمت في الياء ، وكسر ما قبلها لأن الياء تطلب الكسر ، وأما من كسر ذال ذرية فيحتمل أن تكون فعيلة من ذرا الله الخلق فأبدلت الهمزة ياء وأدغمت في ياء المد وأما من فتح ذال ذرية فيحتمل أن تكون فعيلة عنده من ذرا أو فعولة من هذا فالأصل ذرووة فأبدلت الهمزة ياء بدلا مسموعا وقلبت الواو ياء وأدغمت. (١)

ومن هذا الإدغام قراءة الحسن والزهري (هنيا مريا) النساء ٤/٤ من دون همز أي بإبدال الهمزة (لام الكلمة) ياء وإدغامها في الياء^(٢) وكذلك قرئ (إنما النسي) التوبة ٣٧/١ وروي ذلك عن ابن كثير^(٣) فسهل الهمزة بإبدالها ياء وأدغمها في الياء فهي قراءة من يقف بالإدغام. (٤)

وكذلك قرأ قالون وغيره^(٥) (هم أحسن أثاثا ورثيا) مريم ١٩ / ٢٤ بتشديد الياء من غير همز ، فاحتمل أن يكون مهموز الأصل من الرواء والمنظر ، سهلت همزته بإبدالها ياء ، ثم أدغمت الياء في الياء ، واحتمل أن يكون من الري ضد العطش لأن الريان من الماء له من الحسن والنضارة ما يستحب ويستحسن كما له منظر حسن من وجه آخر مما يرى ويقابل. ويرجح أنها من (الرواء) لأن قراءة الجمهور بالهمز (ورثيا).

وقرأ ابن عباس فيما روى عنه طلحة (وريا) من غير همز ولا تشديد ، فتجاسر بعض الناس وقال : هي لحن ، وليس كذلك بل لها توجيه بأن تكون من الرواء وقلب فصار (ورثيا) ثم نقلت حركة الهمزة إلى الياء وحذفت أو بأن تكون من الري وحذفت إحدى الياءين تخفيف كما حذفت في (لاسيما) والمحدوفة الثانية لأنها لام الكلمة لأن النقل إنما حصل للكلمة بأكملها إلى الأولى ، فهي أولى بالحذف. (٦)

١- البحر ٣٧٢/١

٢- نفسه ١٦٣/٣

٣- وقرأ بها الزهري وحמיד وأبو جعفر وورش عن نافع والحواني - البحر ٣٩/٥ - ٤٠

٤- البحر ٣٩/٥ - ٤٠ وينظر التيسير ص ١١٨ والسبعة ص ٣١٤ و الارشادات ص ١٩١.

٥- قرأ بها الزهري وأبو جعفر وشيبة وطلحة في رواية الهمداني وأيوب وابن سعدان وابن ذكوان ينظر البحر ٢١١/٦

٦- البحر ٢١١/٦

وقرأ الجمهور من السبعة^(١) (كانها كوكب دري) النور ٣٥/٢٤ والظاهر نسبة الكوكب إلى الدر لبياضه وصفاته ، ويحتمل أن يكون أصله الهمز فأبدل وأدغم ووزنها فَعِيل ، وقد حكى الأخفش في الأبنية كوكب درئ من درأته وقيل : لا يوجد فَعِيل إلا قولهم مريق للعصفر ودري في هذه القراءة وقيل : ومريّة فإنها مشتقة من السرور ، وأبدل من أحد المضعفات الياء فأدغمت فيها ياء فَعِيل وسمع أيضا مريخ للذي في داخل القرن اليابس بضم الميم وكسر ها وقيل منه عليه. وقرأ أبو عمرو والكسائي (دري) وهو بناء كثير في الأسماء نحو سكين وفي الأوصاف نحو سكير^(٢).

وقرأ قتادة وجماعة^(٣) (دري) بفتح الدال ، قال ابن جني : وهذا عزيز لم يحفظ منه إلا السكينة بفتح السين وشد الكاف ، وحكى الفراء كسر السين^(٤) ومن هذا الإدغام قراءة أبي رجاء (مماخطياتهم) نوح ٢٥/٧١^(٥) وقراءة الجمهور (البرية) البينة ٦/٩٨ بشد الياء ، ونافع وابن عامر بالهمز (البريئة)^(٦) مما يؤكد قلب الهمزة ياء وإدغامها في الياء ، وقراءة ابن مسعود (ومريته) المسد ٤/١١١ على التصغير وبإبدال الهمزة ياء وإدغام ياء التصغير فيها^(٧).

١ - هم نافع وابن عامر وحفص وابن كثير ، ينظر البحر ٥٦/٦ ؛

٢ - البحر ٥٦/٦ ؛

٣ - منهم أبان بن عثمان وابن المسيب وأبو رجاء وعمرو بن قائد والأعمش ونصريين عاصم ، البحر ٥٦/٦ ؛

٤ - البحر ٥٦/٦ ؛

٥ - نفسه ٢٤٢/٨ ؛

٦ - نفسه ٤٩٩/٨ ؛

٧ - نفسه ٥٢٥-٥٢٦ أي قرأ (و مريته - مريته)

د- الإدغام في الأصوات الذلقية (الثنوية)

اللام والنون والراء من الأصوات الذلقية ، وأدرج القدماء الضاد معها وأطلقوا عليها حروف طرف اللسان وما يقابلها من الحنك الأعلى ^(١). الضاد : لاتدغم في واحد من مقارباتها الثلاثة ، لأنها مطبقة ، مستعلية فلو أدغمت في مقاربها لأدى بها إلى الإخلال بتلك الصفات ، وقد تدغم في الطاء إذا وردت في صيغة افتعل في نحو اطجع ومطجع والأصل فيهما : اضطجع ومضطجع وإن شئت قلت : مضجع ^(٢) بإدغام الطاء في الضاد لاتفاقهما في الإطباق والاستعلاء وعلى الرغم من ذلك فإدغامها قليل. تدغم في الضاد الطاء والذال والتاء والظاء والذال والتاء لأنها اتصلت بمخرج اللام ^(٣) كما أدغمت هي في الشين في قوله تعالى (فإذا استأذنوك لبعض شأنهم) النور ٢٤/٦٢ وقد مر أنفا.

إن اللام والنون والراء تجمعها صفة الذلاقة ولاينطلق اللسان إلا بها فهي متقاربة في المخرج ، فالأول منحرف والثاني أغن والثالث مكرر. قال سيبويه : "وأصل الإدغام لحروف الفم لأنها أكثر الحروف. ^(٤)

أولاً- النون :

لايدغم فيها من مقارباتها إلا اللام مثل : هنرى؟ في هل نرى؟ ويفضلون عليه البيان ^(٥) ويرى المبرد أن إدغام اللام في النون قبيح ، فكأنهم استوحشوا من إدغامها فيها إذا كانت النون لايدغم فيها غيرها وهو جائز على قبحه. ^(٦)

وتظهر النون مع حروف ستة هي الهمزة والهاء والحاء والعين والحاء والغين وهي حروف الحلق عند القدماء ، قال ابن الجزري : "وإظهار النون الساكنة والتنوين عند حروف الحلق يكاد يكون إجماعاً إلا ما كان من أبي جعفر القعقاع ، وهو شيخ نافع وأحد القراء العشرة ، فإنه جوز الإخفاء عند الخاء والغين من كلمتين" ^(٧) وقد ذكر أبوحيان قراءة المسيبي عن نافع بإخفاء النون عند الخاء في قوله تعالى (وأمنهم من خوف) قرئش ١٠٦؛ وكذلك مع العين نحو من علي وهي لغة حكاها سيبويه ^(٨)

و تدغم النون في خمسة أحرف هي اللام والراء والميم والياء والواو يجمعها قولك : "يرملون" منها حرفان بلاغنة وهما اللام والراء ولايكون ذلك إلا في كلمتين ^(٩)

١- الكتاب ٤/٤٣٢ و ارتشاف الضرب ٦/١ - ٧

٢- نفسه ٤/٧٠

٣- الممتع ٢/٦٩٠

٤- الكتاب ٤/٤٥٤

٥- نفسه ٤/٤٥٩

٦- المقتضب ١/٢١٤

٧- التمهيد ص ١٥٤-١٥٥

٨- البحر ٨/٥١٥ وينظر الكتاب ٤/٤٥٤ ، ٤٥٦ والمقتضب ١/٢١٦ والسبعة ص ١٢٥-١٢٦

٩- الكتاب ٤/٤٥٢

ولا تدغم فيهما إلا إذا تحرك ما قبلها نحو قوله (زَيْن للنَّاسِ) آل عمران ١٤/٣ وقوله (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ) إبراهيم ٧/١٤ وما أشبههما ، فإن سكن ما قبلها لم تدغم (١) وتدغم في الواو نحو (مَنْ وَاقٍ) الرعد ٢٤/١٣ وفي الياء نحو (مَنْ يَقُولُ) البقرة ٨/٢ وفي الميم نحو (عَمَّا يَعْمَلُونَ) البقرة ٧٤/٢ .

وتقلب النون الساكنة والتتوين إلى ميم إذا تلتها الباء ؛ لأن الميم أشبه الحروف بالنون كقولك ممبك ؟ تريد : من بك ؟ (٢) وتكون حروف الإخفاء خمسة عشر حرفاً ، وهي ما عدا حروف الإظهار والإدغام والإقلاب .

والوجه أن النون تدغم في الراء لقرب المخرجين على طرف اللسان ، وهي مثلها في الشدة ، ويكون إدغامها بغنة وبلاغنة ، وتدغم في اللام لأنها قريبة منها كذلك ، كما تدغم في الميم لأن صوتهما واحد ، وهما مجهوران (٣) قال ابن خالويه : "فالحجة لمن أدغم في اللام والراء والياء والواو بغير غنة أن اللام والراء حرفان شديدان والغنة من الأنف فبعدت منهما ، والياء والواو رخوتان ، فجرتا مع النون والتتوين في غنة الخياشيم (٤) . هذا إذا كانت النون في كلمة والحرف المدغم فيه في كلمة أخرى . أما إذا كانا في كلمة واحدة فلا يجوز الإدغام ، ويتعين الإظهار ، وجاء ذلك في أربع كلمات من القرآن الكريم : الدنيا وبنيان وصنوان وقنوان ، وعلة الإظهار في ذلك اشتباهه بالمضعف حال الإدغام ، فلو أدغمنا النون في مثل قنوان والدنيا لقلنا : قنوان والدنيا ، فاشتبه بما هو مضعف أصلاً أي ما تكرر أحد أصوله مثل رمان فلا يدري السامع بعد ذلك أهو مما أصله النون فأدغمت نونه أم هو من المضعف أصالة (٥) . و أما الميم فلا تدغم في النون ؛ لأن الميم تنفرد بالشفة وإنما تشرب غنة من الخياشيم (٦) .

١٠٣- إدغام النون في النون

أدغمت النون في النون هروبا من ثقل المتئين وذلك في كثير من المواضع في القرآن الكريم ، منها قراءة طلحة (٧) لقوله (واصنع الفلك بأعيننا) الرعد ٢٧/١٣ وقوله (ويدعوننا) الأنبياء ٩٠/٢١ (٨) ، وقراءة حمزة (٩) (أتمدوني بمال) النمل ٢٦/٢٧ وقراءة

^١ - التيسير ص ٢٧ والنشر ٢٩٤/١

^٢ - الكتاب ٤٤٧/٤ - ٤٥٣ و المقتضب ٢١٦/١ و السبعة ص ١٢٦

^٣ - نفسه ٤٥٢/٤ ، ٤٥٣ و أدب الكاتب ص ١٩٥

^٤ - حجة ابن خالويه ص ٦٧

^٥ - النشر ٤٠٨/١ والتيسير ص ٣٥

^٦ - المقتضب ٢١٨/١

^٧ - البحر ٢٢٠/٥

^٨ - نفسه ٣٢٦/٦

^٩ - نفسه ٧٤/٧

الحسن وأبي السمال لقوله (ولاتمنن) المدثر ٦/٧^(١) وأظهر الجمهور النونين في كل ذلك كما أظهرهما في قوله تعالى (أتحاجوننا) البقرة ١٢٩/٢ بنونين على الأصل: نون الرفع ونون الوقاية وأدغمهما زيد بن ثابت والحسن والأعمش. ووجهه أنه لما التقى مثلاً وكان قبل الحرف الأول مد ولين جاز الإدغام كقوله هذه دار راشد ، لأن المد يقوم مقام الحركة في نحو (جعل لك)^(٢) وقد لحن بعض النحويين قراءة التخفيف بنون واحدة في قوله (أتحاجوني) الأنعام ٨٠/٦. وقال مكي: حذف النون بعيد في العربية مكروه ، وإنما يجوز في الشعر للوزن ، والقرآن لا يحتمل ذلك ، إذ لا ضرورة تدعو إليه ، وعقب عليه أبو حيان : "وقول مكي ليس بالمرتضي ؛ لأن مثل هذا التخفيف لغة لغطان وأدغم باقي السبعة هروبا من الثقل ، ولم يقرأ بالفك وإن كان هو الأصل"^(٣) .

وأدغم الحسن المثلثين في قوله (قيم تبشرون) الحجر ٥٤/١ وابن كثير كذلك ولكنه حذف الياء^(٤) وأدغم الجمهور في (تأمروني) الزمر ٦٤/٢٩ وأظهر ابن عامر النون على الأصل ولكنه أسكن الياء وفتحها ابن كثير^(٥) وهي في مصاحف الشام بنونين^(٦).

مما سبق يتأكد جواز الإدغام والإظهار وكلاهما عربي صحيح ، وهو مذهب النحاة ، كما أجاز بعضهم حذف إحدى النونين ، وب حذفها قرأ نافع (قيم تبشرون) ومن غير ياء^(٧) و تأمروني) و بفتح الياء^(٨) (أتعداني) الاحقاف ١٧/٤٦ في رواية عنه وجماعة^(٩) و المسيبي عن نافع (أتمدوني) النمل ٣٦/٢٧ بنون واحدة خفيفة^(١٠).

وروي عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: كسر النون لحن^(١١) وحصره أبو حاتم في ضرورة الشعر ، وخرجت على أنه حذف نون الوقاية وكسر نون الرفع للياء ، ثم حذفت الياء لدلالة الكسرة عليها هذا مما أجازته سيبويه والخليل وهي قراءة أهل المدينة^(١٢).

١ - نفسه ٢٧١/٨

٢ - نفسه ٤١٢/١ و معاني الأخفش ٣٤٠/١ وإعراب النحاس ٢٦٧/١

٣ - نفسه ١٦٩/٤ وإبراز المعاني ١٢٧/٣ ، ٣٠٥ ، والتيسير ص ١٠٤ والكافية ٢٢/٢ وحجة أبي زرعة ص ٢٥٧

٤ - نفسه ٥٨/٥ و معاني الأخفش ٤٤٣/١ وحجة أبي زرعة ص ٢٨٢-٢٨٣

٥ - البحر ٤٣٩/٧ وحجة أبي زرعة ص ٢٥٨ والموضح ٣٢٢/٢ - ٣٢٣

٦ - المبسوط ص ٢٨٥

٧ - البحر ٥٨/٥ وتاويل مشكل القرآن ص ٦٣

٨ - نفسه ٣٩/٧

٩ - نفسه ٦٢/٨

١٠ - نفسه ٧٤/٧

١١ - إعراب النحاس ٢٨٣/٢

١٢ - البحر ٥٨/٥ و إعراب النحاس ٢٨٣/٢

ولقد اضطرب موقف النحاة في أي النونين حذفت أمهي نون الرفع أم نون الوقاية ؟ وقال ابن عطية : لا يجوز حذف النون الأولى ، وهو لحن ، لأنها علامة رفع الفعل . ويرد عليه أبو حيان ويرى أن حذف النون الأولى ليس بلحن لأن التركيب متفق عليه ، والخلاف جرى في أيهما حذف ونختار أنها نون الرفع ^(١) وهو ما صرح به صاحب الكافية : "لأن نون الإعراب لامعنى له كنون الوقاية إذ إعراب الفعل ليس امعنى كما هو مذهب البصريين ^(٢) ونراه موقفاً سديداً ، فلا يوصف باللاحن من قدر المحذوفة النون الأولى ، ولا من قدرها هي الثانية ، فهي حرف واحد لا دليل على حذف هذه ، وبقاء تلك ، فما الأمر إلا حذف أحد المثلين للتخفيف .

وشدد النون الزهري في (فاتبعوني بحبيكم الله) آل عمران ٣١/٣ فالحق دون التوكيد فعل الأمر وأدغمها في نون الوقاية ، ولم يحذف الواو شيئا — (أتحاجوني) ، وهذا توجيه شذوذ ^(٣) لأن واو الجماعة تحذف إذا اتصلت بفعلها نون التوكيد لالتقاء الساكنين ، فيكون هكذا (فاتبعني) كما أدغمت فرقة نون الرفع في نون الوقاية في قوله (تشافون فيهم) النحل ٢٧/١٦ وضعف أبو حاتم قراءة كسر النون ، وهي لنافع ورويت عن الحسن ^(٤) .

وقرأ ابن كثير وحמיד (مامكني فيه ربي خير) الكهف ٩٥/١٨ بنونين متحركتين ، وباقي السبعة بإدغام نون (مكن) في نون الوقاية والإدغام حسن لاجتماع حرفين من جنس واحد ، ووجه الإظهار أن النون الأولى من الفعل والثانية ليست منه. ^(٥) ومن أمثلة الإدغام التي اختلف فيها قوله تعالى (لكننا هو الله ربي) الكهف ٢٨/١٨ قرأ الجمهور من السبعة - ماعدا ابن عامر - بتشديد النون بغير ألف في الوصل وبألف في الوقف . وذهب أبو حيان إلى أن أصله (ولكن أنا) نقل حركة الهمزة إلى نون (لكن) وحذف الهمزة ، فصارت (ولكننا) فالتقى مثلان فادغم أحدهما في الآخر ^(٦) قال ابن جني : "وإن كانت حركة النون الأولى غير لازمة من حيث كانت من أعراض التخفيف ، وأجريت مجرى اللازمة ، فأسكنت الأولى وأدغمت في الثانية حملا على حاضر الحال وإجراء غير اللازم مجرى اللازم" ^(٧) و نص النحاس على أن هذا الاتجاه هو مذهب الكسائي والفراء والمازني ^(٨) وذكر أبو حيان توجيهها آخر : "وقيل

^١ - نفسه ١٣٩/٧ ومغني اللبيب ٣٤٤/٢

^٢ - الكافية ١٧٧/٢

^٣ - البحر ٤٣١/٢

^٤ - نفسه ١٨٦/٥

^٥ - نفسه ١٤٦/١٦ وأعراب النحاس ١٧٣/٢ وحجة أبي زرعة ص ٤٣٣ ، ٤٣٤ والنشر ٣٠٣/١

^٦ - نفسه ١٢٦/٦ ، ١٢٧ والصناعة ١٨٥/٢ والاتحاف ص ٢٩٠ و ابرار المعاني ٣٣٤/٣ وما بعدها ، وجاء حذف الهمزة من (أنا) في بعض موشحات ابن سناء الملك ، ينظر الضمائر في اللغة

العربية ، ص ٢٣ - ٢٤

^٧ - المحتسب ٧٠/١ و ٢٩/٢

^٨ - أعراب النحاس ٥٦/٢ وتفسير القرطبي ٤٠٥/١٠

حذف الهمزة من (أنا) على غير قياس فالتقت نون (لكن) وهي ساكنة مع نون (أنا) وهو المشهور في الوقف على (أنا) وأما في الوصل فالمشهور حذفها ، وقد أبدلها هاء في الوقف أبو عمرو في رواية ، فوقف (لكنه) . ذكره ابن خالويه ، وقال ابن عطية : وروى هارون عن أبي عمرو (لكنه هو الله ربي) بضمير لحق (لكن) ^(١) ، وأشار أبو عبيدة إلى هذا الاتجاه فقال : "مجازة : لكن أنا هو الله ربي ، ثم حذفت الألف الأولى وأدغمت إحدى النونين في الأخرى ، فشددت ، والعرب تفعل ذلك" ^(٢) وهذه اللغة عزاء الفراء إلى عليا تميم وسفلى قيس فقال : "ومن العرب من يقول إذا وقف : أنه ، وهي لغة جيدة ، وهي في عليا تميم وسفلى قيس وأنشدني أبو ثروان (طويل) وترمينني بالطرف أي أنت مذنب . وتقلينني لكن إياك لا أقلي

أي لكن أنا لا أقليك ^(٣) ولا يتعين هذا لجواز أن يكون التقدير : لكنني فحذف اسم (لكن) وهو ياء المتكلم : لأن النحاة ذهبوا إلى أن حذفه فصيح إذا دل عليه الكلام وأنشدوا على ذلك قول الفرزدق (طويل) :

فلو كنت ضبياً عرفت قرابتي . ولكن زنجي عظيم المشافر

أي ولكنك زنجي ^(٤) وقال سيبويه : "والنصب أكثر في كلام العرب كأنه قال : ولكن زنجياً عظيم المشافر لا يعرف قرابتي ولكنه أضمر هذا كما يضمّر ما بني على الابتداء" ^(٥) .

إن ألف (أنا) زائدة عند البصريين ، وأصلية عند الكوفيين ^(٦) وقال النحاس ، فإذا قلت : أنا أو أنه فالألف والهاء لبيان الحركة ولا يقال : أنا فعلت بإثبات الألف إلا شاذاً في الشعر على أن نافعاً قد أثبت الألف فقراً (أنا أحي وأميت) البقرة ٢٥٨/٢ ولا وجه له ^(٧) ولكن لا ينحصر إثبات الألف في قراءة نافع بل يشاركه كثيرون ^(٨) منهم أبو عمرو وابن عامر من السبعة ، لذلك لا يتعين اعتراض النحاس ، قال ابن جني : "فأما الألف في (أنا) في الوقف فزائدة وليست بأصل فهي كالهاء [...] وقد قالوا في الوقف : أنه فبينوا الفتحة بالهاء كما بينوها بالألف وكتاتهما ساقطة في الوصل" ^(٩) وأما الألف

١ - البحر ١٢٨/٦ وشواذ ابن خالويه ص ٨٠ والسبعة ص ٣٩١ و اعراب النحاس ٥٧/٢

٢ - مجاز القرآن ١٤٤/٢

٣ - معاني الفراء ١٤٤/٢

٤ - البحر ١٢٨/٦ وفي الخزانة ٣٧٩/٤ : "وأعلم أن قافية البيت اشتهرت كذا عند النحويين وصوابه : ولكن زنجياً غلاظاً مشافره. وكذلك في الهمع ١٦٣/٢ .

٥ - الكتاب ١٣٦/٢ وينظر ، السيرافي ، ما يحتمل الشعر من الضرورة ، ص ٧٧ ، وشرح المفصل ٨٤/٩

٦ - المنصف ٩/١ - ١٠ وحجة الفارسي ٢٧٣/٢ وتفسير القرطبي ٢٨٧/٣

٧ - اعراب النحاس ٣٣١/١

٨ - قرأ بإثبات الألف وقفاً وصلاً ابن عامر ونافع في رواية وأبو عمرو في رواية وكردم و ورش في رواية وأبو جعفر ، البحر ١٢٨/٦ و اعراب النحاس ٥٦/٢

٩ - المنصف ٩/١ - ١٠ وحجة أبي زرعة ص ٤١٧ والكتاب الموضح ٧٨٢/٢

في الوصل فهي لغة بني تميم ولغة غيرهم في الاضطرار ، فجاء (لكننا) على لغة بني تميم وعلى هذه اللغة قول حميد بن حريث الكلبي (وافر) :

أنا سيف العشيرة فأعرفوني .: حميدا قد تنزيت السناما (١).

وذهب الألفوي إلى أن إثبات الألف لغة بعض بني قيس وربيعه (٢) وذهب أبوحيان في موضع سابق من تفسيره إلى أن الأحسن أن تجعل قراءة إثبات الألف -وهي قراءة نافع وجماعة- على لغة بني تميم فهو من إجراء الوصل مجرى الوقف فإذا حملناها على لغة تميم كان فصيحاً (٣) واستحسن الزمخشري إثبات الألف في الوصل فهي عوض من حذف الهمزة (٤) و أجاز أبو علي الفارسي ، أن تكون (لكن) لحقتها نون الجماعة ، ووقع الإدغام لاجتماع المثليين ، ثم وحد (ربي) على المعنى ، ولواتبع اللفظ لقال (ربنا) وهو تأويل بعيد (٥) و أجاز هذا التوجيه ابن أبي مريم (٦) وقرأ أبي والحسن (لكن أنا هو الله) على الانفصال وفك الإدغام وتحقيق الهمز ، وحكاها ابن عطية عن ابن مسعود (٧).

إن رسم الكلمة (لكننا) بالإدغام والألف في المصحف ، يدل على أن أصلها (لكن أنا) فحذفوا الهمزة لكثرة الاستعمال ، فتجاور المثلاث فحصل بينهما الإدغام ، لأن ما تتألفه الألسنة بكثرة يسوغ التخفيف في اللفظ ، وهو ما عبروا عنه بكثرة الاستعمال ، وكذلك لا يجانب الصواب من ذهب إلى أن أصلها (لكن) اتصلت بها (نا) الضمير الدال على جماعة المتكلمين ثم حصل بين النونين الإدغام. وأما وجه إثبات الألف فهو على لغة بني تميم وجاء بها الشعر كقول أعشى ميمون (متقارب) :

فكيف أنا و أنتحالي القوا .: في بعد المشيب كفى ذاك علرا (٨).

وتعرض أبوحيان إلى قوله تعالى (مالك لاتأمننا) يوسف ١١/١٢ فقال : قرأ أبي والحسن وطلحة بن مصرف والأعمش بالإظهار وضم النون الأولى على الأصل ، وجاء المصحف مرسوما بنون واحدة على لفظ الإدغام وبه قرأ الجمهور ، وعندهم الإشمام للضم ، وإخفاء الحركة لا يكون إدغاما محضاً ، وضم ابن هرمل الميم ، فتكون

١- البحر ١٢٨/٦ وفي حجة الفارس ٢٧٦/٢ (أنا شيخ العشيرة) بدل سيف العشيرة

٢- إبراز المعاني ٣٦٥/٢ قال محمد عبدالله جبر : "وقد عثر على صيغة الضمير العربي (أنا) في الكتابات الثمودية واللحيانية وكان يكتب في هاتين الكتابتين الجاهليتين بالهمزة و النون فقط (أن) " ينظر الضمائر في اللغة العربية ص ٢٠.

٣- البحر ٢٨٨/٢ وينظر الكتاب الموضح ٧٨٢/٢ وحجة أبي زرعة ص ٤١٧ والنشر ٣١٠/٢

٤- نفسه ١٢٨/٦ والكشاف ٢٠٨/٣

٥- نفسه ١٢٨/٦

٦- الكتاب الموضح ٧٨٢/٢

٧- البحر ١٢٨/٦ وأعراب النحاس ٤٥٦/٢ - ٤٥٧

٨- حجة الفارسي ٢٧٦/٢ وتفسير القرطبي ٤٠٤/١٠ ولسان العرب و مقاييس اللغة ، مادة (نحل) و شرح المفصل ٤٥/٤ والسيرافي ، ضرورة الشعر ، ص ٧٧ والرواية الجيدة : فكيف يكون انتحال القوافي بعد المشيب.

منقولة من النون بعد سلب حركة الميم ، وادغام النون في النون. وبالإدغام من غير إشمام قرأ زيد بن علي وأبو جعفر والزهري وعمرو بن عبيد (1).

إن قراءة الإشمام بالضم لاتعد إدغاما محضا ، إنما هو حال وسطى بين الإظهار والإدغام من غير تشديد مع بقاء الغنة في الحرف الأول (2) "وذلك أن الإشمام إنما هو تحريك الشفتين يراه البصير دون الأعمى ، فيستدل بذلك على إرادة الفاعل لذلك الضم" (3) وهو أن تضم الشفتين بعد إسكان النون مباشرة من غير إحداث صوت الضم (4) فيكون ذلك إخفاء لا إدغاما صحيحا ؛ لأن الحركة لاتسكن رأسا بل يضعف الصوت فيفصل بين المدغم والمدغم فيه (5).

واختلف أهل الأداء وعلما العربية في كيفية تلك الإشارة ، فقال بعضهم : هي الإشارة بالعضو ، وهو الشفتان إلى ضمة النون التي كانت لها في الأصل قبل الإدغام ، وقال آخرون وهم الأكثر : هي الإشارة بالحركة إلى النون لتأكيد دلالة ذلك على أصل الكلمة ؛ فالأولون يجعلون النون الأولى مدغمة في النون الثانية إدغاما تاما ؛ لأن الإشارة بالشفتين ليست بصوت خارج إلى اللفظ وإنما هي تهيئة العضو للدلالة على كيفية الحركة لا غير ، والآخرون يجعلون النون الأولى مخفاة غير مدغمة (6) والإخفاء في جميع الأحوال نقص لإحدى صفات الحرف الجامد أو المصوت (وما يترتب على ذلك من أحوال خاصة) وبهذا النقصان يصير صوتهما خفيا بكيفية من الكيفيات وليس أندساسا (7).

ومن المختلف فيه بين الإدغام والإخفاء قوله تعالى : (فنجى من نشاء) يوسف ١١٠/١٢ وجاءت المصاحف متفقة على كتبها بنون واحدة ، فقرأ نصر بن عاصم وجماعة (8) (فنجى) فعلا ماضيا مخفف الجيم ، وقال أبو عمرو الداني : وقرأت لابن محيصن (فنجى) ماضيا مشدد الجيم على معنى : فنجى النصر.

وقرأ عاصم وابن عامر (فنجى) مبنيًا للمفعول ويقويها عطف المبني للمجهول عليها وهو قوله (ولا يرد بأسنا) وكذلك قرأ مجاهد وغيره (9) إلا أنهم سكنوا الياء

1- البحر ٢٨٥/٥ ومعاني القراء ٣٨/٢ والسبعة ص ٣٤٥ وأعراب النحاس ٢١٦/٢ والتمهيد ص ١٤٥ ونشر ٣٠٣/١ والتحفة المرضية ١٩٤/١ والكتاب الموضح ٦٧١/٢ "وهو إشارة إلى الضمة من غير إحاض"

2- التمهيد ص ٥٥ ينظر هذا البحث ص ٥٤

3- حجة الفارسي ١٥٩/١ والاتحاف ص ١٠١

4- الإرشادات الجلية ص ٤١٣

5- التيسير ص ١٢٧ - ١٢٨

6- المحكم ص ٨٢

7- مجلة اللسانيات ، العدد ٦ ص ١٤

8- الحسن وأبو حيوة وابن السميع ومجاهد وعيسى وابن محيصن ، البحر ٣٥٥/٥

9- الحسن والجحدري وطلحة بن هرمز ، البحر ٣٥٥/٥ والسبعة ص ٣٥٢ والتحفة المرضية ١٨٤/٢

أي (فنجي) وخرج على أنه مضارع أدغمت فيه النون في الجيم وهو توجيه قال به أبو عبيد^(١) وشاهده قولهم : إجاصة وإجانة و أترجة : لأن أصلها إنجاصة وإنجانة وأترجة^(٢) ومسوغ الإدغام أن الجيم لها حظ المخرج من الخياشيم كما أن النون من الخياشيم ، فتقارب لذلك فجاز إبدال إحداهما من الأخرى.

ويعترض أبو حيان على هذا التوجيه ويذهب إلى أن النون لا تدغم في الجيم ، ويخرجه على أنه ماض - كالسابق - سكنت الياء فيه لغة من يستقل الحركة صلة على الياء كقراءة من قرأ (ماتطعمون أهاليكم) المائدة ٨٩/٥ بسكون الياء^(٣) ورويت هذه القراءة (فنجي) عن الكسائي ونافع في المشهور ، وباقي السبعة بنونين مضارع (أنجي) ، وقرأت فرقة كذلك إلا أنهم فتحوا الياء (فنجي) قال ابن عطية : رواها هبيرة عن حفص عن عاصم ، وهي غلط من هبيرة^(٤).

و يرد أبو حيان اتهام ابن عطية ويوجهها فيقول : "وليست غلطا ، ولها وجه في العربية ، وهو أن الشرط والجزاء يجوز أن يأتي بعدهما المضارع منصوبا بأضمار (أن) بعد الفاء كقراءة من قرأ (وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله ، فيغفر لمن يشاء) البقرة ٢٨٥/٢ بنصب (فيغفر) وذلك بإضمار (أن) بعد الفاء^(٥) ولا فوق في ذلك بين أن تكون أداة الشرط جازمة أو غير جازمة^(٦).

وقال الفراء : "وأما الذين قرأوا بنونين ، فإن النون الثانية تخفى ، ولا تخرج من موضع الأولى ، فلما خفيت حذفت ، ألا ترى أنك لا تقول : (فنجي) بالبيان ، فلما خفيت الثانية حذفت ، واكتفى بالنون الأولى منها كما يكتفى بالحرف من الحرفين فيدغم ويكون كتابهما واحدا^(٧)".

ويدعم موقف القائلين بالإخفاء دليلان : أولهما أن النون الأولى متحركة والثانية ساكنة ، والساكن لا يدغم فيه متحرك ، وثانيهما أن الكلمات التي رويت في التدليل على ادغم النون في الجيم من المعرب وليست من الفصح أصلا.

ثم إن النون إذا كانت ساكنة تخفى عند خمسة عشر حرفا هي : التاء والثاء والجيم والذال والذال والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء والفاء والقاف والكاف^(٨) ويقول سيبويه : "وتكون النون مع سائر حروف الفم حرفا خفيا مخرجه من

^١ - حجة أبي زرعة ص ٦٩ ، ٧٠ ، و تفسير القرطبي ١١/٣٢٤-٣٢٥ والصبان ٤/٢٦٢ والكشاف ٤/٧٠.

^٢ - أدب الكاتب ص ٢٨٩-٢٩٠ و الإفصاح للفارقي ص ٩٥ و ماتلحق فيه العامة ص ١١٦ ، وتهذيب إصلاح المنطق ص ٤٣٠.

^٣ - البحر ٥/٣٥٥ وجاء في البحر ٤/١٠ هي قراءة جعفر الصادق وأما قراءة الجمهور فهي (أهليكم) ملحقا بجمع المذكر السالم وفي الصبان ٤/٢٦٢ : تسكين الياء لغية للعرب تخفيفا.

^٤ - السبعة ص ٢٥٢ وحجة ابن خالويه ص ١٩٩ و الكتاب الموضح ٢/٦٩٢-٦٩٣ والنشر ٢/٢٩٦.

^٥ - هي قراءة ابن عباس والأعرج وأبي حيوة ، ينظر البحر ٢/٢٦٠.

^٦ - البحر ٥/٣٥٥ وحجة أبي زرعة ص ٢٦٧-٢٦٨.

^٧ - معاني الفراء ٢/٥٦ و ينظر الكتاب الموضح ٢/٦٩٢.

^٨ - التمهيد ص ١٥٨.

الخياشيم ، وذلك أنها من حروف الفم ، وأصل الإدغام لحروف الفم لأنها أكثر الحروف^(١) والإخفاء ضرب من التخفيف ولكنه ليس إدغاما ؛ إنما هو حال بين الاظهار والإدغام عار من التشديد مع بقاء الغنة في الحرف الأول ، فيقال ادغم في كذا واخفى عند كذا.

ومن هذا المنزع تكون النون الثانية قد أخفيت عند الجيم ، ولذلك حذفت من الرسم وأشير إليها بنون صغرى بين النون الأولى والجيم (فنجي) في المصحف المطبوع على رواية ورش وكذلك مصحف قالون. اما المطبوع على رواية حفص فهو بنون واحدة (فنجي) ماضيا مبنيًا للمجهول. وهذه المصاحف الثلاثة المطبوعة اتفقت على رسمها بنون واحدة في قوله تعالى (وكذلك نـجـي المؤمنين) الأنبياء ٨٨/٢١ "فقرأها الجمهور بنونين مضارع (أنجي) والجحدري مضارع (نجى). وقرأ ابن عامر وأبو بكر (نجي) كسابقتها^(٢) وكذلك هي في مصحف الإمام ، ومصاحف الأمصار بنون واحدة ، واختارها أبو عبيد لموافقة المصاحف ، فقال الزجاج والفارسي : هي لحن ، وقيل هي مضارع. أدغمت النون في الجيم ، ورد بأنه لا يجوز إدغام النون في الجيم التي هي فاء الفعل لاجتماع المثليين ، كما حذفت في قراءة من قرأ (ونزل الملائكة) الفرقان ٢٥/٢٥ يريد : ونزل الملائكة. وعلى هذا أخرجها أبو الفتح^(٣) ونصه : "حذف النون الثانية وإن كانت أصلية وشبهها - لاجتماع المثليين - بالزائدة ، فهذا تشبيه أصل بزائد لاتفاق اللفظين"^(٤) وقيل: هي فعل ماض مبني لما لم يسم فاعله وسكنت الياء كما سكنها من قرأ (ونزروا مابقي من الربا) البقرة ٢٧٨/٢^(٥) والمقام مقام الفاعل ضمير المصدر أي نجي هو أي النجاء المؤمنين كقراءة أبي جعفر (ليجزى قوما) الجاثية ١٤/٥ أي وليجزى الجزاء^(٦) وقد أجاز إقامة غير المفعول به من مصدر أو ظرف مكان أو ظرف زمان أو مجرور الأخفش والكوفيون وأبو عبيد وذلك مع وجود المفعول به ، وجاء السماع في إقامة المجرور مع وجود المفعول به نحو قوله (مجهول) (وافر) :

أتيج لي من العدا نذيرا .: به وقيت الشر مستطيرا

وقال الأخفش في المسائل: ضرب الضرب الشديد زيدا ، وضرب اليومان زيدا وضوب مكانك زيدا ، وأعطى اعطاء حسن أخاك درهمًا ، مضروبا عبده زيدا ، وقيل ضمير المصدر أقيم مقام الفاعل (والمؤمنين) منصوب بإضمار فعل أي وكذلك نجي هو، أي النجاء ننجي المؤمنين والمشهور عند البصريين أنه متى وجد المفعول به لم يقم

^١ - الكتاب ٤/٥٤٤

^٢ - ينظر هذا البحث ص ٢١٨

^٣ - البحر ٢٣٥/٦ وقرأ بها أبو معاذ وخارجة عن أبي عمرو ونسبها ابن عطية إلى ابن كثير وحده. قال : وهي قراءة أهل مكة ورويت عن أبي عمرو وعن أبي أيضا. البحر ٤٩٤/٦

^٤ - المحتسب ١١١/٢ وأعراب النحاس ، ٧٨/٣ وتفسير القرطبي ٢٣٥/١١

^٥ - وهي قراءة الحسن ، وقب الياء الفالغة لطي ولبعض العرب ، البحر ٢٢٧/٢ وينظر هذا البحث ص

^٦ - البحر ٤٥/٨

غيره بالنيابة إلا أن صاحب اللباب حكى الخلاف في ذلك عن البصريين وأن بعضهم أجاز ذلك (١).

وذهب ابن قتيبة إلى أن من قرأها بنونين وخالف الكتاب فإنه اعتل بأن النون تخفى عند الجيم ، فأسقطها كاتب المصحف لخفائها ونيتسه إثباتها ، واعتل بعض النحويين لعاصم فقالوا : أضمر المصدر كأنه قال : نجي النجاء المؤمنين كما تقول ضرب الضرب زيدا ، قال الشاعر (وافر) :

ولو ولدت فقيرة جرو كلب . : لسب بذلك الجرو الكلابا (٢).

والبيت ضعيف في نظر النحاة ولا يجوز إلا في الضرورة وما دعاهم إلى هذا التأويل الطويل إلا مجيء كلمة (المؤنين) منصوبة فلو كانت كالأولى لاكتفوا بما أولوا به . آية يوسف ، لأن النيابة عن الفاعل يعطاها المفعول به ، إذا وجد في التركيب ، قبل غيره ، والأحسن أن تخرج على أن إحدى النونين حذفت كما تحذف إحدى التاعين لاجتماعهما كقوله (ولا تفرقوا).

٢٠٢- إدغام النون في اللام

اللام من الأحرف الخمسة التي تدغم فيها النون يجمعها قولنا (يرملون) قال سيبويه : "وتدغم (النون) في اللام لأنها قريبة منها على طرف اللسان ، وذلك قولك : من لك ؟ فإن شئت كان إدغاما بلاغية ، فتكون بمنزلة حروف اللسان ، وإن شئت أدغمت بغنة لأن لها صوتا من الخياشيم فترك على حاله" (٣) هذا نص صريح من إمام النحاة بجواز إدغام النون في اللام ولكن أباحيان يقول : "وقرئ شاذا (يسألونك عن الأهلة) البقرة ١٨٩/٢ بإدغام نون (عن) في لام (الأهلة) بعد النقل والحذف أي: علهة" (٤) ولا ندري كيف جاءها الشذوذ ؟ فلن كان نقل الحركة وحذف الهمزة فمشهور عن ورش ، وبه قرأها ، وإن كان السكون في المتجاورين فالتحريك واجب وهي قراءة الجمهور ، وإن كان إدغام النون في اللام فقد أجازته جمهور العلماء ، وسبق أن نقلنا رأي سيبويه المجوز لها ؛ لأنهما متقاربتان في المخرج فهما من حروف طرف اللسان. وقال الداني : "وتدغم النون في اللام والراء إذا تحرك ما قبلها" (٥). ولم يصف أبو حيان قراءة ابن محيصن بالشذوذ لقوله تعالى (يسألونك عن الأنفال) الأنفال ١/٨ حيث نقل حركة الهمزة إلى لام التعريف ، وحذف الهمزة واعتد بالحركة العارضة فأدغم نحو (وقد تبين لكم) العنكبوت ٣٨/٢٩ (٦).

١ - البحر ٣٢٥/٦ و معاني الفراء ٢١٠/٢ و شواذ ابن خالويه ص ٩٢ والتيسير ص ١٥٥

٢- تأويل مشكل القرآن ص ٥٥-٥٦ والتيسير ص ١٥٥ والبيت لجريز وقفيرة أم الفرزدق ، ينظر الإفصاح في شرح أبيات مشكلة الأعراب ، ص ٩٣ - ٩٤ ، ولسان العرب (فقر) وهمع الهوامع ٢٦٦/٢ وحجة ابن خالويه ص ٢٦٦

٣- الكتاب ٤٥٢/٤

٤- البحر ٦١/٢ وينظر املاء العكبري ص ٩١

٥- التيسير ص ٢٧ والنشر ٢٩٤/١

٦- البحر ٤٥٦/٤ واملاء العكبري ص ٢٩٩ والاتحاف ص ٢٢٥ وهي من الادغام الكبير .

وكذلك قرأ نافع و أبو عمرو (وأنه أهلك عادا الأولى) النجم ٥٠/٥٣ بإدغام التتوين في اللام المنقول إليها حركة الهمزة المحذوفة ، وعاب (١) هذه القراءة بعض النحاة كالمازني والمبرد (٢) قال أبو عثمان المازني : "أساء عندي أبو عمرو في قراءته لأنه أدغم النون في لام المعرفة ، واللام إنما تحركت بحركة الهمزة وليس بحركة لازمة ، والدليل على ذلك أنك تقول : الأحمر فإذا طرحت حركة الهمزة على السلام تقول : الحمر ولم تحذف الف الوصل ؛ لأنها ليست بحركة لازمة". (٣) ولكن أباحيان يستشهد بجواز القراءة فيقول : "قالت العرب في الابتداء بعد النقل الحمر ولحمر فهذه القراءة جاءت على لحمر فلا عيب فيها" (٤) وهذه حجة لقراءة نافع وأبي عمرو لأن الحركة قد صارت لازمة بحذفهم ألف الوصل ، ولو لم تكن لازمة لما حذفت.

فإذا كان لهذه القراءة توجيه صحيح في لغة العرب فما وجه شذوذ الإدغام في (عن الأهله) ؟ أو ليس الأمر واحدا ؟ فمن المحتمل أن يكون أبوحيان قد تناقض ، فوصف إدغام النون في اللام بالشذوذ في سورة البقرة ، وصححه في سورة الأنفال واستشهد له في سورة النجم . ولعل عذره في ذلك أن الكتاب الذي ندرسه قد ألفه في سنوات وألقى مضمونه دروسا في المسجد ، ولاشك في أن موقفه العلمي يتجدد بل يتغير إلى الأفضل بعدما يمكنه الوقت من الاطلاع الواسع.

٢-٣ - إدغام النون في الراء

تدغم النون في الراء لقرب المخرجين على طرف اللسان ، وهي مثلها في الشدة ويكون إدغامها بغنة وبلاغة (٥) وكذلك كانت قراءة الجمهور (من راق) القيامة ٧٧/٧٥ بإدغام النون في الراء ووقف حفص على (من) وابتدأ (راق) (٦) قال أبو علي : لأدري ما وجه قراءته ، ويحاول أبوحيان توجيه هذه القراءة فيقول : وكان حفص قصد أن لايتوهم أنها كلمة واحدة فسكت سكتا لطيفا ليشعر أنهما كلمتان (٧) فبالإدغام تنطق (مراق) وهي صفة مبالغة من مرق مرققا فهو مارق ومراق (فعال) ، وقراءة حفص ضرب من البيان ، ولم يذكره سيبويه بل اكتفى بالإدغام بغنة وبلاغة، ولعله من نقل غيره من الكوفيين ، وعاصم شيخ حفص من قرائهم المشاهير ، وكان له علم بالنحو ولايدغم إلا فيما لايجوز إظهاره.

١- في البحر ١٦٩/٨ "لو عاد" هذه القراءة بعض النحاة" وهو تصحيف واضح و الصواب ماذكرناه.

٢- البحر ١٦٩/٨ وإملاء العكبري ص ٥٤٤ والسبعة ٦١٥ والنشر ٤١٠/١ وما بعدها.

٣- حجة أبي زرعة ص ٦٨٧ والكتاب ٤/٤٤٤ ، ٤٤٥ و الكتاب والموضح ١٢٢١

٤- البحر ١٦٩/٨

٥- الكتاب ٤/٥٢ ، ٥٣ و أدب الكاتب ص ١٩٥

٦- كان حفص يسكت سكتا لطيفا دون تنفس مع مراعاة الوصل في أربعة مواضع من القرآن : (عوجا قيما) الكهف ١/١٨ - ٢ و (مرقدنا هذا) يس ٥٢/٣٦ و (بل وان) القيامة ١٤/٧٥ وما ذكرناه أعلاه ، ينظر التيسير ص ١٤٢

٧- البحر ٢٢٩/٨ وحجة أبي زرعة ص ٧٢٧

ثانيا - الراء

لا تدغم الراء في شيء من مقارباتها ، يقول سيبويه : "والراء لا تدغم في اللام ولا في النون لأنها مكررة ، وهي تنقشى إذا كان معها غيرها ، فكرهوا أن يجحفوا بها فتدغم مع ما ليس ينقشى في الفم مثلها ولا يكرر" (1)

ويدغم فيها مما يقاربها اللام والنون "لأنك لا تخل بهما كما كنت مخلا بها لو أدغمتها فيهما ، ولتقاربهن وذلك : هرايت ومرأيت" (2) ومأمعته سيبويه والمبرد وجمهور البصريين من إدغام الراء في اللام أجازة الكسائي والفرء وأبو جعفر الرؤاسي وحكوه عن العرب (3) و أجازة أبو عمرو بن العلاء وقرأ به في مثل قوله تعالى (فيغفر لمن يشاء) البقرة ٢٨٤/٢ (4) وسنتحدث عن هذا لاحقا.

ويدفع ابن جني هذا الإدغام ولا يجوز فيقول : "وأعلم أن الراء لما فيها من التكرير لا يجوز إدغامها فيما يليها من الحروف ؛ لأن إدغامها في غيرها يسلبها ما فيها من الوفور بالتكرير ، فأما قراءة أبي عمرو (يغفر لكم) آل عمران ٣١/٣ بإدغام الراء في اللام فمدفوع عندنا وغير معروف عند أصحابنا ، إنما هو شيء رواف القراء ولا قوة له في القياس" (5).

وأثبت أبو حيان في تفسيره قراءة من قرأ بالإدغام ومن قرأ بالإظهار فقال : قرأ الجمهور (فلا يغرك) لقمان ١٩/٣١ بالفك وهي لغة الحجاز ، وقرأ زيد بن علي وعبيد بن عمير (فلا يغرك) بالإدغام وهي لغة تميم (6)

١-٢. إدغام الراء في الراء

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وغيرهما (7) (لاتضار والدّة) البقرة ٢٢٣/٢ ، وهي مناسبة لما قبلها من قوله (لاتكلف نفس إلا وسعها) لاشتراك الجملتين في الرفع ، وإن اختلف معناهما ، لأن الأولى خبرية لفظا ومعنى ، وهذه خبرية لفظا نهية في المعنى ، فإذا توافقت الجملتان كان أحسن (8) وقرأ باقي السبعة (لاتضار) على النهي ، فسكنت الراء الأخيرة للجزم وسكنت الراء الأولى للإدغام أي (لاتضارر) فالتقى ساكنان فحرك الأخير منهما بالفتح لموافقة الألف التي قبل الراء لتجانس الألف والفتحة ، ولم يكسروها على أصل النقاء الساكنين فراعوا الألف وفتحوا وعللوا إلى الكسر وإن كان

1 - الكتاب ٤٤٨/٤ و الممتع ٧٠١/٢

2 - نفسه ٤٤٨/٤ والمقتضب ٢١٢/١

3 - ارتشاف الضرب ٢٣٤/١

4 - التيسير ص ٢٧ و النشر ٢٩٢/١

5 - الصناعة ٢٠٦/١

6 - البحر ٤٤٩/٧

7 - ويعقوب و إبان عن عاصم ، البحر ٢١٤-٢١٥ و حجة أبي زرعة ص ١٣٦

8 - البحر ٢١٤/٢ ، ٢١٥ وأعراب النحاس ٣١٧/١ والكتاب الموضح ٣٢٨/١

الأصل وقرأ أبو جعفر الصفار (لاتضار) أجرى الوصل مجرى الوقف، وروي عنه (لاتضار) وهي قراءة الأعرج من ضار يضير، وهو مرفوع أجرى الوصل مجرى الوقف^(١) واعترض الزمخشري فقال: اختلس الضمة فظنه الراوي سكوناً^(٢) ويدافع أبوحيان على صواب هذه القراءة ويتهم الزمخشري بالتجاوز، قال: "وهذا على عادته في تغليب القراء وتوهمهم ولانذهب إلى ذلك، ووجه هذه القراءة بعضهم بأن قال: حذف الراء الثانية فرارا من التشديد في الحرف المكرر وهو الراء، وجاز أن يجمع بين الساكنين إما لأنه أجرى الوصل مجرى الوقف أو لأن مدة الألف تجرى مجرى الحركة"^(٣). وروي عن ابن عباس (لا تضار) وعن ابن مسعود (لاتضار) والإظهار في هذين المثالين لغة الحجاز ونسبت كذلك إلى عمر بن الخطاب (ض).^(٤)

وروى مقسم عن عكرمة أنه قرأ (ولا يضار كاتب) البقرة ٢٨٢/٢ بالإدغام وكسر الراء لالتقاء الساكنين وعن عمر بن الخطاب (ولا يضار) بالفك، ورواها الضحاك عن ابن مسعود وابن كثير عن مجاهد، وقرأ ابن القعقاع وعمر بن عبيد (ولا يضار) وهو ضعيف، لأنه في التقدير جمع بين ثلاثة سواكن لكن الألف لمدّها يجري مجرى المتحرك فكانه بقي ساكنان، والوقف عليه ممكن ثم أجريا الوصل مجرى الوقف^(٥).

إن قراءة التشديد والتسكين أخف من غيرها، فمن قرأ بها لجأ إلى التخفيف ولو كان ضعيفا في رأي أبي حيان، وهي جائزة مادام اللبس مأمونا. فما وضعت الحركة إلا للفرق بين المعاني، وأما قراءة الفك فهي لغة أهل الحجاز.

واختلف العلماء في قراءة الكوفيين وابن عامر لقوله تعالى (لا يضركم كيدهم) آل عمران ١٢٠/٣^(٦) بضم الضاد وتشديد الراء من ضر يضر وموضع الخلاف حركة الراء أهى حركة إعراب وهو مرفوع أم حركة إتباع لضمة الضاد وهو مجزوم كقولك: مد؟ ونسب هذا إلى سيبويه، فيكون الإعراب على التقدير وتقديره: لا يضركم أن تصبروا، وخرج أيضا على أن (لا) بمعنى ليس مع إضمار الفاء والتقدير: فليس يضركم وقاله الفراء والكسائي^(٧).

وروي عن عاصم أنه قرأ (لا يضركم) بفتح الراء وهي أحسن من ضمها، لأن الفتح هو الكثير المستعمل في الجزم، وكسر الضحاك الراء على أصل التقاء الساكنين قيل هي من نقل غيره من الكوفيين، وعاصم شيخ حفص من قرائهم المشاهير، وكان له

^١ - البحر ٢١٥/٢ وإملاء العكبري ص ١٠٤ والتيسير ص ٨١ والنشر ٢٢٧/٢

^٢ - الكشاف ١٣٦/١ والبحر ٢١٥/٢

^٣ - البحر ٢١٥/٢ وإملاء العكبري ص ١٠٥ والبيان للأنباري ١٥٩/١-١٦٠

^٤ - نفسه ٢١٥/٢ ومعاني الأخفش ٢٧٢/١ وشواذ ابن خالويه ص ١٤ والتبيان للعكبري ١٨٦-١٨٥/١

^٥ - نفسه ٢٥٤/٢ وأعراب النحاس ٢٤٨/١ وإملاء العكبري ص ١٢٧

^٦ - هذه قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو وحزمة في رواية عنه من ضار يضير ويقال ضار يضور وكلاهما بمعنى ضر.

^٧ - البحر ٤٣/٣ ومعاني الفراء ٢٣٢/١ وحجة ابن خالويه ص ١١٢ والنشر ٢٤٢/١

علم باللغة. قال ابن عطية : فأما الكسر فلا أعرفه قراءة وعبارة الزجاج في ذلك متجاوز فيها إذ يظهر من درج كلامه أنها قراءة [قراءة الضحاك] (١).

وهذا رد صريح من ابن عطية في عدم إدراجها ضمن القراءات ، لأننا إذا ما أعتمدنا مبدأ التخفيف في النطق وجدنا أنها أثقل من سابقتها وإن كان لها وجه في العربية ، وهو الكسر لالتقاء الساكنين.

وحجة قراءة التشديد أن أصله (لا يضرركم) وهي قراءة أبي على لغة أهل الحجاز - نقل حركة الراء الأولى إلى الضاد ، وأسكنت الراء للإدغام و أدخل الجزم فأسكنت الراء الثانية ، فالتقى ساكنان ، فحرك الثاني ، وعلامة الجزم مقدرة منع ظهورها سكون الإدغام ، فالأصل في (مد) مثلاً : مدد. سكنت الدال الأولى للإدغام ، وسكنت الثانية للأمر ، فالتقى ساكنان فحركت الثانية إما بالكسر لالتقاء الساكنين (مد) وإما بالضم للإتباع (مد) إتباع حركة الميم ، وإما بالفتح للخفة (مد) لأن الفتحة أخف الحركات. وعلى هذا رأي النحاة. "فلغة أهل نجد فتحه قصداً إلى التخفيف إذ يقولون غرض ولغة بني أسد كلغة أهل نجد إلا أن يقع بعده ساكن ، فيكسرون آخره فقليل : غرض الطرف ولغة بني كعب الكسر مطلقاً ، فيقولون غرض طرفك. ومن العرب من يحرك الآخر بحركة الأول ، فيقولون غرض وخف وظل" (٢) وحكى الكسائي أنه سمع من عبد القيس : ارد واغض وامر بهمزة الوصل (٣).

ومن مسائل الإدغام المختلف فيها بين القراء ، التي تباينت بشأنها آراء النحاة ما نقله أبو حيان في بحره أن فرقة أدغمت الراء في الراء (٤) في قوله تعالى (شهر رمضان) البقرة ١٨٥/٢ وهو ماروي عن أبي عمرو أنه كان يدغم المثلين من كلمتين سواء سكن أم تحرك في جميع القرآن (٥) وقال النحاس : "حكى عن الحسن وأبي عمرو إدغام الراء في الراء وهذا لا يجوز لئلا يجتمع ساكنان" (٦) فلو تحركت الهاء بحركة الراء لجاز الإدغام لانتقاء علة المنع وهي التقاء الساكنين على غير حدة "ولو فعل ذلك لوجب ان يقال شهر رمضان بضم الهاء ، وليس أحد من القراء يدعي هذا فيه من أدغم ومن لم يدغم" (٧) وقول القراء هذا ونحوه مدغم سهو منهم وقصور عن إدراك الحقيقة" (٨).

وذهب ابن عطية إلى أن ذلك لا تقتضيه الأصول لاجتماع الساكنين فيه يعنى بالأصول

١ - نفسه ٣/٢٣

٢ - شرح ابن عقيل ٤/٢٧٤

٣ - الصبان ٤/٢٦٤

٤ - البحر ٢/٣٩٢ و الإتحاف ص ١٤٨

٥ - التيسير ص ٢٠

٦ - أعراب النحاس ١/٢٨٦

٧ - المحتسب ١/٩٨

٨ - صناعة الأعراب ١/٦٥

أصول مآقرره أكثر البصريين ؛ لأن مآقبل الرآء في (شهر) حرف صحيح ، فلو كان في حرف علة لآز بإآماع منهم نحو : هآ آوب بكر لأن فيه - لآونه حرف علة - مآ ما" (1) وقال الجوهري : إنما هو بآركة مختلصة (2) و يتآلى أبو آيان عن مذهب البصريين لأنهم ليسوا نقله اللغة الوحيددين : "ولم تقتصر لغة العرب على مآنقله أكثر البصريين ولا على ما آآثاروه بل إذا صح النقل وحب المصير إليه" (3) وقال في موضع سابق : "وقد آآاز الكوفيون الجمع بين الساكنين على غير الحد الذي آآازه البصريون ، وقراءة ورش (لآعدوا) النساء ١٥٤/٤ بالجمع بين الساكنين صحيحة لآتدفع بآآتيار المآذهب (4) ويضيف في موضع لآق من مؤلفه : "فإن لسان العرب ليس محصورا فيما نقله البصريون فقط ، والقراءات لآآيء على ما علمه البصريون ونقلوه ، بل القراء من الكوفيين يكونون مثل قراء البصرة" (5) ونقل السيرافي أن أبا عمرو بن العلاء كان يدغم الرآء في مثلها ساكنا مآقبلها أو متآركا (6) في مثل (عتوا عن أمر ربهم) الأعراف ٧٧/٧ و (ذكر رآمة ربك) مريم ٢/١٩ و (آترك البحر رهوا) الدآان ٢٤/٤٤ ويعتقد ابن عصفور أن أبا عمرو آفى حركة الرآء الأولى في جميع ذلك ولم يدغم (7) والإخفاء ليس بآدغام وإن كان قريبا منه (8) قال ابن يعيـش : "والإخفاء اختلاس الحركة وتضعيف الصوت. وعلى هآ الأصل ينبغي أن يآمل كل موضع يذكر القراء أنه مدغم ، والقياس يمنع منه على الإخفاء مثل (شهر رمضان) وما أشبه ذلك من حرف مدغم ساكن صحيح" (9).

آآاز القراء إدغام الرآء في الرآء من (شهر رمضان) على وجهين: أحدهما- أن يجمع بين ساكنين الهاء والرآء من (شهر) وهآ جيد عنده ، وعند بقية الكوفيين ، وليس بمنكر . والوجه الآخر ، أن تلقى حركة الرآء على الهاء فتصير (شهر رمضان) ، واستضعف هآ الوجه ، وآآازه ، وزعم أنه كآمتصل (10) وهو مما أثر عن تميم أنها تتلآص من النقاء الساكنين بآريك مآقبل الساكن المدغم ، كما قالوا في عباد شمس عيشمس بآريك الباء (11) وبذلك تكون قراءة أبي عمرو على لغة قومه.

1- البحر ٢٩/٢

2- إبراز المعاني ٣٠٠/١

3- البحر ٢٩/٢

4- نفسه ٤٧/١ - ٤٨ و ٢٨٨/٣ وينظر قسم تاء الإفتعال من هآ البآ

5- نفسه ٣٦٢/٢ - ٣٦٣

6- إدغام القراء ص ٣٦ و ارتشاف الضرب ٣٣٢/١

7- الممتع ٧٢٣/٢

8- ما ذكره الكوفيون من الإدغام ص ٣٦ و الممتع ٧٠١/٢

9- شرح المفصل ١٤٧/١٠ والشافية ٢٤٧/٢ ينظر هآ البآ ص ٤١

10- إدغام القراء ص ٣٧ و مآذكره الكوفيون من الإدغام ص ٨٢ و ارتشاف الضرب ٣٣/١

11- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي ، ص ٣٧٥ وينظر البحر ٢٩/٢

ثم إن ابن جني يجوز في الشعر الجمع بين الساكنين ، وكان من المعترضين عليه في القراءة ، فيروي قول أحدهم (واقر) :

ومن يتق فإن الله معه .. ورزق الله مؤتاب وغادي (١).

وأما اعتراض البصريين عموماً فمتناهية ؛ لأن هذه القراءة رويت عن أبي عمرو - وهو رأسهم - وقضى بجوازها جماعة الكوفيين - وهم نقلة كذلك - فهي من القراءات الصحيحة ، فما تواتر نقله فإن المصير إليه أولى وأحق بالإتباع "إذ ليس قول النحاة حجة إلا عند إجماعهم ، ولم يجمعوا على المنع ولأنهم ناقلون عن ثبوت عصمته عن الغلط في مثله وهو رسول الله (ص) ولثبوت القرآن تواتراً ، وما نقله النحاة آحاد ، ولو سلم أن مثل ذلك بمواتر فالقراء أعدل وأكثر" (٢) والنحاة يتوهمون أن ما خالف قواعدهم لا يجوز - ولو ثبت نقله عن الثقات العدول ، والصحيح أن يقال : غير مقيس ، فإن لم يسمع فهو لحن وإن سمع فهو شاذ قياساً فقط ولا يمتنع وقوعه في القرآن ، وكذلك فهو ملحق بالوقف إذ لا فرق بين الساكن للوقت والساكن للإدغام ، ومادام الحديث يتعلق بموقف النحاة ، فإن أكابرهم أجازوا هذا الإدغام كأبي عمرو والكسائي والفراء ، أو ليس هؤلاء من نقلة اللغة ونحاتها وعلمائها ؟

إن الجمع بين الساكنين مسموع من أفصح العرب (ص) ، وهو قوله لعمر بن العاص : نعماً بالمال الصالح للرجل الصالح (٣) ، واختاره أبو عبيد أحد أئمة اللغة وناهيك به. ولها شواهد أخرى من القراءات منها قراءة قالون (لا تعذوا) النساء ١٥٤/٥ وهي رواية العراقيين عن قالون (٤) وهي كذلك في المصحف المطبوع على روايته ، وكذلك قوله تعالى (فما أسطاعوا) الكهف ٩٧/١٨ و (أم من لا يهدي) يونس ٣٥/١٠ وهي شواهد كافية لإثبات أن السماع قد ورد بالجمع بين الساكنين.

ويصحح ابن الجزري الوجهين : الاسكان والإخفاء فيقول : "والوجهان صحيحان غير أن النص عنهم بالاسكان ، ولا يعرف الاختلاس إلا عن طريق المغاربة ومن تبعهم كالمهدوي وابن شريح وابن غلبون والشاطبي مع أن الاسكان في التيسير ولم يذكره الشاطبي" (٥). ومما سبق يظهر أن أبا حيان يجوز الجمع بين الساكنين ، الثاني منهما هو المدغم ويميل في هذه المسألة إلى رأي الكوفيين ، فيعتمد صحيح المنقول في جواز هذا الضرب من الإدغام "والذي نذهب إليه أن ما صحت الرواية به من إثبات القراء وجب المصير إليه وإن خالف أقوال البصريين ورواياتهم ، وقد استقرأ هذا اللسان البصريون والكوفيون فوجب المصير إلى ما استقرأه ، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ". (٦)

١ - الخصائص ٢٠٦/١ وينظر صاحبني ص ٤٨ ولسان العرب (أدب) ولم يعزه أحد

٢ - حاشية الصبان ٢٦٠/٤ وينظر الفائق في غريب الحديث ١١٠/٢ (نعماً).

٣ - الفائق في غريب الحديث ١١٠/٢ والبحر ٢٢٤/٢

٤ - الإتحاف ص ١٩٦ والبحر ٢٨٨/٣ والكتاب الموضح ٤٢٢/١

٥ - النشر ٢٣٦/٢

٦ - ارتشاف الضرب ٢٣٩/١ والبحر ٢٢٤/٢

٢٠٢- إدغام الراء في اللام

عالج أبوحيان في مصنفه مسألة إدغام الراء في اللام ، وروى الخلاف فيها بين البصريين والكوفيين ، وبين هؤلاء النحاة والقراء ، فذهب سيبويه إلى عدم جواز هذا الإدغام ، ونصه : " والراء لا تدغم في اللام ولا في النون لأنها مكررة " (١) وتبعه المبرد ونقل نصه السابق (٢) وكذلك ابن السراج (٣) وابن جنى (٤) وغيرهم ، ومأمعه هؤلاء أجازهم أبو جعفر الرؤاسي والكسائي والفراء ، وحكوه عن العرب (٥) و أجازهم أبو عمرو بن العلاء وقرأ به ، وهو علم في اللغة والنحو والقراءة ورأس البصريين (٦).
قرأ الجمهور (يغفر لكم) البقرة ٥٨/٢ بالإظهار ، وأدغمها قوم ، قالوا: وهو ضعيف (٧) وروى عن أبي عمرو إدغام راء (يغفر) آل عمران ٢١/٢ في لام (لكم) وذكر ابن عطية عن الزجاج أن ذلك خطأ ، وغلط ممن رواها عن أبي عمرو (٨) وهي رواية محبوب ، وأبو عمرو أجل من أن يغلط في مثل هذا ، ولعله كان يخفي الحركة كما يفعل في أشياء كثيرة (٩) وكذلك أدغم في قوله (فيغفر لمن يشاء) البقرة ٢٨٤/٢ وشاركه جماعة (١٠).
يبسط أبو حيان الحديث في موضع لاحق من تفسيره ، وينقل رأي الزمخشري ونصه : " ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا ، وراويه عن أبي عمرو مخطئ مرتين ؛ لأنه يلحن وينسب إلى أعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم ، والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة ، والسبب في قلة الضبط قلة الدراسة ولا يضبط نحو هذا إلا أهل النحو " (١١) ويدافع أبو حيان عن الفراء ويرد على الزمخشري كعادته كلما وجد السبيل إلى ذلك ، ويتهمه برفض الرواية وتخطئة القراء : " وذلك على عادته في الطعن على القراء ، وأما ما ذكر من أن مدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا إلى آخره ، فهذه مسألة أختلف فيها النحويون ، فذهب الخليل وسيبويه وأصحابه إلى أنه لا يجوز إدغام الراء في اللام من أجل التكرير الذي فيها ولا

١- الكتاب ٤/٤٤٨

٢- المقتضب ١/٢١٢

٣- الأصول ٣/٢٨٨

٤- الصناعة ١/٢٠٦ و ينظر الممتع ٢/٧٠١

٥- ارتشاف الضرب ١/٢٣٤

٦- البحر ١/٣٨٧

٧- نفسه ١/٢٢٤

٨- نفسه ٢/٤٣١ و ينظر إعراب النحاس ١/٢٦٧ والإتحاف ص ١٢٧

٩- أعراب النحاس ١/٣٦٨ و تفسير القرطبي ٤/٦١

١٠- منهم السوسي والدوري وعاصم الجحدري ويعقوب الحضرمي ، ينظر معجم القراءات ١/٢٣٠

١١- البحر ٢/٣٦١ والقول بنصه في الكشف ١/١٥٨

في النون" (1) ونص السيرافي على أن لا أحد خالف سيبويه إلا يعقوب الحضرمي (2) ، وإلا ماروي عن أبي عمرو من أنه كان يدغم الراء في اللام متحركة ، متحركا ما قبلها نحو (فيفغر لمن يشاء) البقرة ٢/٢٨٤ و (العمر لكيلا) الحج ٢٢/٥ وغيرها فإن سكن ما قبل الراء أدغمها في اللام في موضع الضم والكسر نحو (الأنهار لهم) النحل ١٦/٣١ و (النار ليجزي) ابراهيم ١٤/٥٠-٥١ فإن انفتحت وكان ما قبلها حرف مد ولين أو غيره لم يدغم نحو (من مصر لأمراته) يوسف ١٢/٢١ و (إن الأبرار لفي نعيم) الانفطار ٨٢/١٢ و (لن تبور ليوفيههم) فاطر ٢٥/٢٩ و (الحمير لتركبوها) النحل ١٦/٨ فإن سكنت الراء أدغمها في اللام بلا خلاف عنه إلا ماروي أحمد بن جبير بلا خلاف عنه عن اليزيدي عنه أنه أظهرها ، وذلك إذا قرأ بإظهار المثلين والمتقاربين المتحركين لا غير على أن المعمول في مذهبه بالوجهين جميعا على الإدغام نحو ويغفر لكم (3). وحكى أبو بكر بن مجاهد أن أبا عمرو بن العلاء كان يدغم الراء في اللام ساكنة أو متحركة (4) قال صاحب النشر: "فمن أدغم الادغام الكبير لأبي عمرو لم يختلف في إدغام هذا بل أدغمه وجها واحدا ، ومن روى الإظهار اختلف عنه في هذا الباب عن الدوري" (5).

ولا يستسيغ ابن جني هذا الإدغام ، ولا يجيزه بل يدفعه دفع المنكرين : "وإدغام الراء في اللام يسلبها ما فيها من الوفور ، فأما قراءة أبي عمرو (يغفر لكم) بادغام الراء في اللام فمدفوع عندنا وغير معروف عند أصحابنا إنما هو شيء رواه القراء ولا قوة له في القياس" (6) وهو رأي صريح يصب في منهج البصريين حماة القياس ، ولو أدى بهم ذلك إلى مخالفة صحيح المنقول ، أو ليس أبو عمرو من كبارهم؟

إذا ما اطلع هؤلاء المعارضون وتأكدوا بأن قراءة الإدغام منقولة عن أبي عمرو فكيف السبيل إلى إنكارها ؟ وهي قراءة صحيحة ، يؤيدها ثلثة من العلماء الذين لا ترد لغتهم قال أبو حيان : "وأجاز ذلك الكسائي والقراء ، وحكياء سماعا ، ووافقهما على سماعه رواية وإجازة أبو جعفر الرؤاسي ، وهو إمام من أئمة اللغة والعربية من الكوفيين. وقد وافقهم أبو عمرو على الإدغام رواية وإجازة كما ذكرناه ، وتابعه يعقوب كما ذكرناه وذلك من رواية الوليد بن حسان" (7) وهذا النوع من الإدغام يبيحه نزوع المتكلم إلى التخفيف ، وتسوغه بيئة بدوية "ومما يحتج به لأبي عمرو وغيره ممن أدغم الراء في اللام أن الراء إذا أدغمت في اللام صارت لاما ، ولفظ اللام أسهل وأخف من

١ - نفسه ٢٦١/٢-٢٦٢ وينظر الكتاب ٤/٤٤٨ و اعراب النحاس ١/٣٦٧

٢ - إدغام القراء ص ٢٨/٢٩ وينظر الممتع ٢/٧٢٣-٧٢٤

٣ - البحر ٢/٢٦٢

٤ - إدغام القراء ص ٤١ وينظر النشر ١/٢٩٢

٥ - النشر ٢/١٢

٦ - الصناعة ١/٢٠٦ وينظر حجة ابن خالويه ص ٨٠

٧ - البحر ٢/٢٦٢ وينظر إدغام القراء ص ٤٠-٤١

أن تأتي بـ (راء) فيها تكرير وبعدها (لام) وهي مقاربة للراء فيصير كالنطق بثلاثة أحرف من مخرج واحد ، فطلب التخفيف بذلك^(١).

إن البصريين يبالغون في التمسك بالقياس ولو جرهم ذلك إلى تخطئة كبارهم واتهام القراء ورواتهم، وذهبوا إلى أن ماروي من إدغام إنما هو إخفاء ، وهو أمر مقبول مادام تسجيل ذلك في عصرهم غير ممكن لأنعدام الوسائل التي تنقل الظاهرة الصوتية كما نطق بها أصحابها.

غير أن أبا حيان لا يستميله رأي البصريين ، فيتخلى عنه وينتصر إلى القراء ونقلهم ، ويميل إلى السماع ولو أدى به إلى أحضان الكوفيين ، فهو لا يتعبد على مذهب البصريين كما يقول دائما ، ولذلك تراه يحتج لهذا الإدغام برجلين من البصريين وبجماعة من رؤساء الكوفة. قال : "ذكرنا أن رؤساء الكوفة أبا جعفر الرئاسي والكسائي والقراء رووا ذلك عن العرب ، ورأسان من البصريين وهما أبو عمرو ويعقوب قرأ بذلك وروياه ، فلا ألتفات لمن خالف في ذلك"^(٢) كما سبق له أن رد على أصحابه الذين زعموا أن هذا إخفاء وليس بإدغام "وذلك لا يجوز أن يعتقد في القراء أنهم غلطوا وما ضبطوا ولا فرقوا بين الإخفاء والإدغام"^(٣) بل تجرأ السيرافي وعقد بابا قال فيه : هذا باب يذكر فيه ما أدغمت القراء وهو لا يجوز إدغامه ، و "هذا لا ينبغي ، فإن لسان العرب ليس محصورا فيما نقله البصريون فقط. والقراءات لا تجي على ما علمه البصريون ، ونقلوه بل القراء من الكوفيين يكادون يكونون مثل قراء البصرة ، وقد اتفق على نقل إدغام الراء في اللام كبير البصريين ورأسهم أبو عمرو ابن العلاء ويعقوب الحضرمي وكبراء أهل الكوفة الرئاسي والكسائي والقراء وأجازوه ورووه عن العرب فوجب قبوله والرجوع فيه إلى علمهم ونقلهم "^(٤) وهذه الردود تؤكد على أن أباحيان أجهد نفسه فيها ، ودافع بقوة عن صريح الإدغام مع أن الروايات وردت بالإخفاء كذلك ، ونقلهما رواية ثقات ، فلا سبيل إلى نكران أحدهما.

ثالثا - اللام

اللام تدغم فيها النون لمقاربتها في المخرج ، وذلك قولك : من لك ؟ فإن شئت كان إدغاما بلاغنة ، فتكون بمنزلة حروف اللسان^(٥) و أما اللام فقد تدغم فيها ، وذلك قولك : هنرى ، فتدغم في النون والبيان أحسن^(٦) فالإدغام فيها قبيح.^(٧)

١ - إدغام القراء ص ٤١ وينظر شرح المفصل ١٤٢/١ والممتع ٧٢٤/٢ و ٧٢٥ و مدرسة الكوفة ص ١٧١ ، وإبراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ص ١٣٠

٢ - البحر ٤٣١/٢

٣ - نفسه ٣٦٢/٢ والإخفاء إنقاص الحركة ولكن بزنة المخففة ، ينظر المحكم ص ٤٤

٤ - نفسه ٣٦٣/٢

٥ - الكتاب ٤٥٢/٤ والمقتضب ٢١٧/١ والمقرب ١٢/٢

٦ - نفسه ٤٥٦/٤ والمقتضب ٢١٤/١ والممتع ٦٩٤/٢

٧ - نفسه ٤٥٩/٤ والمقتضب ٢١٤/١

ولام المعرفة تدغم في ثلاثة عشر حرفا ، لايجوز فيها معين إلا الإدغام وهي النون والراء والتاء والثاء والذال والزاي والسين والصاد والطاء والظاء والـ هـ والضاد والشين ، والأخيران استطالا حتى اتصل الأول بمخرج اللام والثاني بمخرج الطاء (١) وذلك لكثرة استعمال هذه الحروف لأن "كثرة دور اللفظ في الكلام تستدعي التخفيف" (٢) قال ابن عصفور : "وإن كانت لغير تعريف أدغمت لأجل المقاربة وجاز البيان لأنها لم يكثر استعماله ككثرة لام التعريف". (٣)

واللام تدغم في الراء إذا تحرك ما قبلها بأية حركة نحو قوله تعالى : (رسل ربك) هود ٨١/١١ ومن هذا النوع أربعة وثمانون في القرآن الكريم (٤) وأدغامها في الراء أحسن من إدغامها في سائرهما ؛ لأنها أقرب الحروف إليها ، وأشبهها بها في الشدة ، فمن صعب عليه إخراجها جعلها لاما (٥) .

ويحسن إدغام اللام في التاء والذال والزاي والسين والصاد والطاء ؛ لأنها أقرب الحروف إليها بعد الراء ويليهما في الجودة إدغامها في الضاد والشين ، واستشهد سيبويه لإدغامها في الشين بقول طريف بن تميم العنبري وهو من فرسان بني تميم في الجاهلية (طويل) :

تقول إذا استهلك ما لا للذة : فكيفة هشيء بكفيك لائق (٦)

فاللام من طرف اللسان، والشين اتسع مخرجها لتقشيتها واختلاطها بطرف اللسان، والإظهار جائز في نظر النحاة. كما أدغم مزاحم العقيلي اللام في التاء في قوله (طويل) :

فدع ذا ولكن هتعين متيما : على ضوء برق آخر الليل ناصب (٧).

أما إذا سكنت اللام وجاء بعدها النون في كلمة فلا بد من بيان سكونها كقوله تعالى : (وإذ قلنا) البقرة ٣٤/٢ .

واختلف القراء في إدغام لام (هل وبلى) في ثمانية أحرف هي : التاء والثاء والسين والزاي والطاء والظاء والضاد والنون نحو : هل تعلم ، هل ثوب ، بل سولت بل زين ، بل طبع ، بل ظننتم ، بل ضلوا ، هل ندلكم وشبهه فأدغم الكسائي اللام في الثمانية ، وأدغم حمزة في التاء والثاء والسين. واختلف عن خالد عند الطاء في (بل طبع) النساء ١٥٥/٤ فقراءته بالوجهين وبالإدغام أخذ له. وأظهر هشام عند النون والضاد وعند التاء في قوله (أم هل تستوي) الرعد ١٦/١٣ لاغير ، وأدغم أبو عمرو (هل ترى من فطور)

١- نفسه ٤٥٧/٤ والمقتضب ٢١٣/١

٢- الممتع ٦٩٢/٢

٣- نفسه ٦٩٣/٢

٤- النشر ٢٩٣/١ ، ٢٩٤ فإن سكن ما قبلها وانفتحت لم تدغم نحو (فعصوا رسول ربهم) إلا (لام) قال فإنها تدغم لكثرة دورها نحو (قال رب) ، ينظر النشر ٢٩٤/١

٥- الممتع ٦٩٤/٢

٦- الكتاب ٤٥٨/٤ ، وينظر الأصول ٤٢١/٣ وشرح المفصل ١٤١/١٠ ، والمقرب ١٤/٢

٧- الكتاب ٤٥٩/٤ وشرح المفصل ١٤١/١٠ ، ١٤٢ و البحر ٢٠٤/٦

الملك ٢/٦٧ و (فهل ترى لهم) الحاقة ٨/٦٩ لا غير. وأظهر الباقر اللام عند الثمانية^(١). هذا مما اختلف في إدغامه القراء ، وكان سيبويه قد نص على جواز إدغام اللام في غيرها من الحروف المذكورة ، وكذلك صرح بأن البيان فيها أحسن.

٤ - ١ = إدغام اللام في اللام

ورد النص بالإظهار والإدغام في القرآن الكريم ، فقال تعالى (أو لا يستطيع أن يمل هو فليمل وليه) البقرة ٢٨٢/٢ جاء الفعل الأول (يمل) بالإدغام ، والثاني (فليمل) بالإظهار. وبين أبو حيان أن (امل) لغة أهل الحجاز وبني أسد ، و (أملى) لتميم ، وقيل الأصل : أملت أبدل من اللام ياء لأنها أخف^(٢) وحلل أبو حيان كلمة (الإل) في قوله تعالى (إلا ولازمة) التوبة ٨/٩ ومعناها الحلف والجوار ويجمع في القلة (الآل) وفي الكثرة (الآل) وأصل جمع القلة (أُلِّل) فسهلت الهمزة الساكنة التي هي فاء الكلمة فابدلت ألفا وأدغمت اللام في اللام^(٣) وأدغم ابن محيصن اللام في أختها في قوله تعالى (على الأرائك) الكهف ٣١/١٨ وذلك بنقل حركة الهمزة إلى لام التعريف وحذفها ، وإدغام لام (على) فيها. وأنحذفت ألف (على) لتوهم سكون لام التعريف والنطق بها (علائك) ومثله قول الشاعر (طويل) :

فما أصبحت علرض نفس بريّة : ولاغيرها إلا سليمان نالها^(٤).

وعن الأعمش وأبي (ظلت) طه ٩٧/٢٠ بلامين على الأصل، وقرأ الجمهور بلام واحدة (ظلت) وهي كذلك في المصاحف المطبوعة حالياً- وذكره سيبويه^(٥) في الشذوذ يعني شذوذ القياس لا شذوذ الاستعمال مع مست وأصله مسست وأحست وأصله أحسست، وزاد ابن الأنباري همت وأصله هممت ، وذكر بعض من عاصرناه أن ذلك منقاس في كل مضاعف العين واللام في لغة بني سليم حيث تسكن آخر الفعل^(٦) وهي لغة أخف في النطق من تتالي حرفين مثلين في الفعل المضاعف إذا اتصل به ضمير رفع متحرك. وجزم الجمهور الفعل في قوله (يجعل لك) الفرقان ١٠/٢٥ قالوا عطفاً على موع (جعل) والتقدير : إن يشأ يجعل ، ويجوز أن يكون مرفوعاً وهي قراءة جماعة^(٧).

١ - التيسير ص ٤٢ وينظر الأصول ٤٢٢/٣ وشرح المفصل ١٤٢/١٠-١٤٣ والممتع ٦٩٣/٢ و ردت هل (١٣ مرة في القرآن ووردت بل ١٢٧ مرة ، ينظر معجم الأنوات في القرآن (هل وبل).

٢ - البحر ٣٤٢/٢ وينظر أعراب النحاس ٣٤٤/١

٣ - نفسه ٣/٥ -

٤ - نفسه ١٢٣/٤

٥ - جاء في الكتاب ٤٢٢/٤ : "وأما الذين قالوا : ظلت ومست فشبهوها بلسن فأجروها في فعلت مجراها في فعل ، وكرهوا تحريك اللام فحذقوا"

٦ - البحر ٢٧٦/٦

٧ - مجاهد وابن عامر وابن كثير وحמיד وأبو بكر ومحبوب عن أبي عمرو ، ينظر البحر ٨٤/٦

وأدغمت لامه في لام لك ؛ لكن ذلك لا يعرف إلا من مذهب أبي عمرو . والذي قرأ بالجزم من السبعة نافع وحزمة والكسائي وأبو عمرو ، وليس من مذهب الثلاثة إدغام المثلين إذا تحرك أولهما إنما هو من مذهب أبي عمرو ^(١) في إدغامه الكبير ، وهذا الضرب من الإدغام مروي عنه ، وجملته مائتان وعشرون موضعاً . ^(٢)

٢٠٤- إدغام اللام في الراء

يحسن إدغام اللام في الراء لأنها أقرب الحروف إليها ، فيكثر إخراجها لامل إذا صعب عليهم إخراجها راء . وبالإدغام ^(٣) قرئ قوله تعالى (بل ران) المطففين ١٤/٨٣ وكذلك قرئ بالإظهار ^(٤) وحكى أبو حيان عن حمزة أنه وقف على (بل) وقفاً خفيفاً يسيراً لتبيين الإظهار . ونص أبو جعفر بن الباذش على أن القراء أجمعوا على إدغام اللام في الراء إلا ما كان من سكت حفص على (بل) ثم يقول (ران) ^(٥) وليس كما ذكر من الإجماع . ففي كتاب اللوامح عن قالون من جميع طرقه إظهار اللام عند الراء نحو قوله تعالى (بل رفعه الله إليه) النساء ١٥٨/٤ و (بل ربكم) الأنبياء ٥٦/٢١ . وفي كتاب ابن عطية : قرأ نافع (بل ران) غير مدغم ، وقرأ أيضاً بالإدغام والإمالة ، وقال سيبويه : اللام مع الراء نحو اشغل رحبة ، البيان والإدغام حسنان ، وقال الزمخشري : وقوى بإدغام اللام في الراء وبالإظهار ، والإدغام أجود وأميلت الألف وفخمت ^(٦) ونقل أبو حيان نص سيبويه وهو قوله : "فاذا كانت يعني اللام غير لام المعرفة نحو لام هل وبل فإن الإدغام في بعضها أحسن وذلك نحو هل رأيت فإن لم تدغم فقلت : هل رأيت ، فهي لغة لأهل الحجاز وهي عربية جائزة ^(٧) .

تنوع النقل في هذا الموضع بين الإظهار والإدغام وكلاهما جائز ، وعزى الإدغام إلى جماعة من القراء السبعة وغيرهم : "والوجه في الإدغام أنه حسن لأن اللام تقارب الراء في المخرج وهي ساكنة والراء فيها تكرير فهي أزيد صوتاً وإدغام

١ - البحر ٤٨٤/٦ وحجة أبي زرعة ص ٥٠٨ وتفسير القرطبي ٦/١٢ والنشر ٢٣٢/٢

٢ - النشر ٢٨١/١

٣ - من غير إمالة قراءة أبي جعفر وشيبة ونافع وأبي عمرو ، وبالإمالة قراءة الأعمش وعاصم وحزمة والكسائي ، ينظر إعراب النحاس ١٧٧/٥ ومعجم القراءات ٩٦/٨

٤ - قراءة الحسن وابن أبي اسحق ، ينظر إعراب النحاس ١٧٧/٥

٥ - كان حفص يسكت سكتة لطيفة دون تنفس مع مراد الوصل في أربعة مواضع من القرآن الكريم وهي : (بل ران) المطففين ١٤/٨٣ و (عوجا قيما) الكهف ١٨/١-٢ و (من مرقندا هذا) يس ٥٢/٣٦

و (من راق) القيامة ٢٧/٧٥ حتى لا يتوهم السامع أن (بران) كلمة واحدة وكذلك (مراق) اسم فاعل من (مرق) أو تكون كلمة (قيما) نعتاً لـ (عوجا) أو تكون (هذا) من صلة (مرقندا) بنظر التيسير ١٤٢

٦ - البحر ٤٤١/٨ وينظر الكتاب ٤٥٧/٤ والكشاف ٢١٨/٦ وإعراب النحاس ١٧٧/٥ وحجة ابن خالويه ٣٦٥ وحجة أبي زرعة ص ٧٥٤ والاتحاف ص ٣٥

٧ - نفسه ٤٤١/٨ والكتاب ٤٥٧/٤ وينظر الأصول ٢٠/٣

الأنقص صوتاً في الأزيد صوتاً يحسن" (١)

٤ - ٢ = إدغام اللام في التاء

تدغم اللام في التاء لأنه مما يحسن الإدغام فيها ، ونقل أبوحيان عن الكسائي أنه قرأ بالتاء قوله تعالى (هل يستطيع ربك) المائدة ١١٢/٥ وبنصب (ربك) (٢) فادغم لام (هل) في تاء (يستطيع) على هذه القراءة (٣) .

وأظهر الجمهور اللام عند التاء في قوله تعالى (هل تعلم) مريم ٦٥/١٩ وأدغم الأخوان وغيرهما (٤) قال أبو عبيدة : هما لغتان ، وعلى الإدغام أنشدوا بيت مزاحم بن الحارث العقيلي (طويل) :

فترذا ولكن هل تعين متيماً : على ضوء برق آخر الليل ناصب (٥)

فادغم الشاعر اللام في التاء ، وهو من بني عقيل ، تلك القبيلة البدوية التي كانت في صحراء نجد ، وكانت ذات صلة بالقبائل التي تؤثر الإدغام كأسد وتميم ، وقيل ينتهي نسبها إلى قيس عيلان (٦) .

كما أدغم حمزة والكسائي اللام في التاء في قوله (بل تؤثرن) الأعلى ١٦/٨٧ وذلك للمقاربة بينهما في المخرج (٧) . فقد اتفق هذان القارئان على إدغام لام هل وبل في التاء والتاء والسين في جميع القرآن (٨) وهما كوفيان ، والكوفة متأثرة بالقبائل التي سكنت شرق الجزيرة كتميم وأسد ، والكسائي مولى لبني أسد ، وهي بيئة إدغام.

٤ - ٤ = إدغام اللام في بقية الحروف

٤ - ٤ - ١ = التاء

قرأ الجمهور (هل ثوب الكفار) المطففين ٣٦/٨٣ بإظهار اللام عند التاء. وقرأ النحويان وحمزة وابن محيصن بإدغام اللام في التاء ، (٩) وقال سيبويه : "وقرأ أبو عمرو (هثوب الكفار) يريد : هل ثوب فادغم في التاء (١٠) للمقاربة في المخرج ،

١ - الكتاب الموضح ١٣٥٠/٣ وينظر التمهيد ص ١٤٢ ، قال الفراء : "فإن اللام تنخل في الرأ دخولاً شديداً أو يقل على اللسان إظهارها فادغمت وكذلك فافعل بجميع الإدغام ، فما نقل على اللسان إظهاره فادغم وما سهل لك فيه الإظهار فأظهر" ينظر معاني الفراء ٣٥٤/٢

٢ - وهي قراءة علي ومعاذ وابن عباس وعائشة وابن جبير ، ينظر البحر ٥٤/٤ والكشاف ٥٤/٢

٣ - البحر ٥٤/٤ وينظر الكشاف ٥٤/٢

٤ - هشام وعلي بن نصر وهارون كلاهما عن أبي عمرو ، والحسن والأعمش وعيسى وابن محيصن ، البحر ٢٠٤/٦

٥ - البحر ٢٠٤/٦ وشرح المفصل ١٤١/١٠ - ١٤٢ ، والكتاب ٥٩/٤

٦ - القلقشندي ، قلاند الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، ص ١١٩ .

٧ - الكتاب ٥٩/٤ وشرح المفصل ١٤١/١٠ وحجة ابن خالويه ص ٨٤

٨ - إدغام القراء ص ٥١ والإتحاف ص ٤٢٧

٩ - البحر ٤٤/٣ وينظر الكشاف ٢١٩/٦ والمفتضب ٢١٤/١

١٠ - الكتاب ٥٩/٤

فهما من طرف اللسان وفيهما صعوبة في النطق ، فصارا أحوج إلى الإدغام .

٢٤٤٤ السين

قرأ ابان بن تغلب (قل سيروا في الأرض) الأنعام ١١/٦ بإدغام اللام في السين كما قرأ حمزة والكسائي (قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا) يوسف ١٨/١٢ بإدغامهما. (١)

٢٤٤٥ الصاد

أدغم ابان بن تغلب اللام في الصاد في قوله تعالى (قل صدق الله) آل عمران ٩٥/٣ (٢).

ولتعليل إدغام اللام في السين والصاد ينقل أبوحيان نصا لابن جني يقول : قال ابن جني: "علة ذلك فشو هذين الحرفين في الفم ، وانتشار الصوت المثبت [كذا] (٣) عنهما ، فقاربنا بذلك مخرج اللام فجاز إدغامهما فيها (٤). ويعقب أبوحيان برأي صاحب الكتاب ، قال سيبويه : "والإدغام يعني إدغام اللام مع الطاء والصاد وأخواتها [التاء والذال والسين والزاي] جائزة ، وليس ككثرته مع الراء ؛ لأن هذه الحروف تراخين عنها ، وهي من الثنايا ، قال : وجواز الإدغام لأن آخر مخرج اللام قريب من مخرجها" (٥).

٢٤٤٦ الطاء

أدغم حمزة والكسائي اللام في الطاء في قوله تعالى (بل طبع) النساء ١٥٤/٤ وأظهرهما باقي السبعة (٦) واللام قريبة من الطاء : لأن الطاء وأخواتها من الثنايا ، وهن من حروف طرف اللسان ، كما أنها منه. (٧)

و تفرد الكسائي بإدغام لام (هل وبل) في النون في قوله (بل نتبع) البقرة ١٧٠/٢ وأظهر ذلك غيره (٨) واللام في الضاد في (بل ضلوا) الأحقاف ٢٨/٤٦ وفي الزاي في قوله (بل زين) الرعد ٢٢/١٣ وفي الظاء في قوله (بل ظننتم) الفتح ١٢/٤٨ وفي الذال (من يفعل ذلك) آل عمران ٢٨/٣ وكذلك أدغمها في جميع مواضعها في القرآن (٩) وحجة الكسائي في ذلك أن هذه اللام لما كانت ساكنة في الخلقة أشبهت لام المعرفة فادغمها عند هذه الحروف كما تدغم لام المعرفة عندهن. (١٠)

١ - البحر ٥/٣ وينظر السبعة في القراءات ص ١٢٣ و الاتحاف ص ٢٦٣

٢ - نفسه ٥/٣

٣ - والصواب (المنبث). ينظر المحتسب ١٥٦/١

٤ - البحر ٥/٣ ، ونص ابن جني في المحتسب ١٦٥/١

٥ - نفسه ٥/٣ والنص في الكتاب ٤٥٧/٤ مع شيء من التصرف

٦ - نفسه ٣٨٨/٣ والسبعة في القراءات ص ١٢٣

٧ - الكتاب ٤٥٨/٤

٨ - البحر ١٨٠/١ وينظر السبعة في القراءات ص ١٢٣ والتيسير ص ٤٣

٩ - إدغام القراء ص ٥٣ و إيضاح الرموز و مفتاح الكنوز الجامع للقراءات الأربع عشر ص ١١٢.

١٠ - حجة أبي زرعة ص ١٢١

هـ- الإدغام في النطعية واللثوية (الأسنانية)

الأصوات النطعية هي التاء والذال والطاء ، واللثوية (أو الاسنانية) هي : التاء والذال والظاء . وعدها القدماء حروف طرف اللسان ومايقابلها من أصول الثنايا وأطرافها. (1) وهي الأصل في باب الإدغام لأنها من حروف اللسان والفم (2) ويجوز فيها البيان ، ولكن الإدغام بينها أحسن باتفاق النحاة لتقاربها في المخرج ، فكلما تقاربت الحروف حسن فيها الإدغام ، وكل واحد منها يدغم في الخمسة ، والخمسة تدغم فيه كما أنها تدغم في الضاد والجيم والشين والزاي والسين والصاد ولا تدغم الأخيرة فيها (3).

إن الطاء والذال والتاء قريبات في المخرج تفرق بينها بعض الصفات كالإطباق والجهر والهمس ، وكذلك أمر الظاء والذال والتاء ، وهن أخوات للثلاثة الأولى لأنهن من حيز واحد (4) وأما الصاد والسين والزاي فلا تدغم في هذه الحروف التي أدغمت فيهن؛ لأنهن حروف الصفير وهن أندى في السمع (5) وجميع هذه الحروف أسنانية وأسنانية لثوية.

التاء والتاء والصاد تشترك في صفة الهمس فيحسن إدغام بعضها في بعض (6) والذال والذال والطاء من مخرج واحد ، فيحسن إدغام بعضها في بعض والأفصح بقاء صفة الإطباق ، ومن العرب من يذهب (7) وحروف الصفير الثلاثة تدغم كل واحدة في الأخرى لتقاربهن في المخرج واجتماعهن في الصفة. (8)

قرئ بإدغام الشين في السين في موضع واحد ، وهو قوله تعالى (لأبتغوا إلى ذي العرشى سبيلا) الإسراء ٢/١٧ وإدغام الذال في السين في قوله (وأتخذ سبيله في البحر عجا) الكهف ٦٢/١٨ وإدغام السين في الشين في (و اشتعل الرأس شيبا) مريم ٤/١٩ وإدغام السين في الزاي في (وإذا النفوس زوجت) التكوير ٧/٨١ (9) وفي حال الوصل أدغمت الدال في التاء في قوله تعالى (و من يرد ثواب الدنيا) آل عمران ١٥٠/٣ وهي قراءة الحرميين وابن عامر وعاصم (10).

1- الكتاب ٤٣٣/٤ والمقتضب ١٩٣/١ والأصول ٤٢٢/٣-٤٢٣ والممنع ٦٩١/٢

2- نفسه ٤٦٢/٤ والممنع ٧٠٣/٤ وحجة الفارسي ٦٢/٢

3- الممنع ٧٠١/٢ والتحليل الصوتي ص ٨٨ وإبراز المعاني ٢٨٤/١-٢٨٥

4- الكتاب ٤٦٤/٤

5- نفسه ٤٦٤/٤ والأصول ٤٢٦/٣

6- الكتاب الموضح ٢٠٤/١

7- الممنع ٧٠٦/٢

8- نفسه ٧٠٦/٢-٧٠٧

9- ارتشاف الضرب ٣٣٧/١ والبحر ٣٨٦/١-٣٨٧ وكلها من الإدغام الكبير الذي نسب إلى أبي عمرو.

10- البحر ٧١/٣

ونقل أبو حيان قراءة محبوب عن أبي عمرو بإدغام السين (المشددة) في السين ففي قوله (نوقوا مس سقر) القمر ٤٨/٥٤ . وهو مما قرر النحاة امتناعه . وقال ابن مجاهد : إدغامه خطأ لأنه مشدد . ولكن أبا حيان يحاول _ بتأويل _ تخريج هذه القراءة فقال : " و الظن بابي عمرو أنه لم يدغم حتى حذف إحدى السينين لاجتماع الأمثال " (1) والحذف لتوالي الأمثال جائز مثل حذفنا لنون الرفع عند اتصال الفعل المضارع المسند للمخاطبة بنون التوكيد الثقيلة . وإذا كان الأمر كذلك ساغ الإدغام في قراءة محبوب .

إدغام دال (قد)

اختلف القراء في إدغام دال (قد) في ثمانية أحرف هي الجيم و الدال و الزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء . فأدغمها أبو عمرو والكسائي وحمزة وهشام وخلف . وأدغمها ورش في الضاد والطاء (2) .

فأدغم النحويان و حمزة وهشام وابن محيصن الدال في الشين ففي قوله تعالى : (قد شغفها حبا) يوسف ٣٠/١٢ وهو الموضع الوحيد الذي أدغم فيه دال قد في الشين (3) وكذلك أدغموها في السين في قوله تعالى (قد سمع الله) المجادلة ١/٥٨ . " قال خلف بن هشام البزار : سمعت الكسائي يقول : من قرأ (قد سمع) فبين الدال عند السين فلسانه أعجمي ليس بعربي . ولا يلتفت إلى هذا القول فالجمهور على البيان " (4) قاله أبو حيان . ومثلها في القرآن قد سألها ، ولقد سبقت ، وما قد سلف ...

وذهب أبو حيان إلى أن إظهار الدال عند التاء في قوله تعالى : (قد تبين الرشد) البقرة ٢٥٦/٢ شاذ - والجمهور بالإدغام (5) . والحقيقة أن الإدغام ليس بلازم بين هذين الحرفين وإن تقاربا ، فقد أجاز العلماء الإدغام والإظهار بينهما . واستحسن الإدغام الذي ذهب إليه سيبويه لا يقتضي شذوذ البيان .

إدغام ذال (إذ)

لم يتفق القراء على إدغام (ذال) (إذ) في ستة أحرف هي : التاء والجيم والدال والزاي والسين والصاد ، فأدغمها أبو عمرو والكسائي في غير الجيم وهشام في الستة وأظهرها الباقون (6) . وبإظهارها قرأ الجمهور قول تعالى (إذ تلقونه) النور ١٥/٢٤ وأدغمها النحويان وحمزة (7) .

١ - نفسه ١٨٣/٨

٢ - النشر ٤-٣/٢ والاتحاف ص ٢٨

٣ - البحر ٣٠١/٥ و النشر ٣/٢

٤ - نفسه ٢٢٢/٨ و الممتع ٩٣/١

٥ - نفسه ٢٨٢/٢

٦ - النشر ٣/٢ وإيضاح الرموز ص ١٠١

٧ - البحر ٤٣٨/٦

وأدغم الجمهور الذال في التاء في (ثم اتخذتم العجل) البقرة ٥١/٢ وأظهرها حفص وابن محيصن^(١) ووجه الإدغام أن الذال والتاء من طرف اللسان وأصول الثنايا فهما متقاربان في المخرج ، وإن اختلفا في الجهر والهمس ، وهو وجه الإظهار ، وكذلك نص أبو حيان على إدغامها في قوله تعالى : (وإني عنيت بربي) الدخان ٢٠/٤٤^(٢) وقد يظن السامع أن الكلمة (عت) من (عدت) والعود ليس هو العياد ، فيكون السياق معينا على الدلالة دون التعويل على اللفظ المدغم.

إدغام التاء

التاء صوت شديد مهموس ، فلولا الهمس الذي في التاء لكانت دالا ، ولولا الجهر في الدال لكانت تاء^(٣). تدغم التاء في عشرة أحرف هي التاء والجيم والذال والزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء^(٤).

كما أدغمت التاء في التاء في مثل قوله تعالى (كم لبثت) البقرة ٢٥٩/٢ وأظهرها نافع وابن كثير وعاصم ، وذلك في جميع القرآن^(٥) و أدغم ابن محيصن الضاد في التاء في قوله (فقبضت) طه ٩٦/٢٠ وأبقى صفة الإطباق وهو من الادغام الناقص لأنه أدغم ذات الضاد وأبقى صفة لإطباق. والإدغام الكامل هو إدغام الذات والصفة^(٦) ، وروي عن أبي عمرو والكسائي وعاصم إدغام الظاء في التاء وابن محيصن والأعمش في قوله (أوعظت) الشعراء ١٣٦/٢٦ إلا أن الأعمش زاد ضمير المفعول فقراً (أوعظتنا) وينبغي أن يكون إخفاء ؛ لأن الظاء مجهورة مطبقة والتاء مهموسة منفحة ، فالظاء أقوى من التاء. والإدغام إنما يحسن في المتماتلين أو في المتقاربين إذا كان الأول أنقص من الثاني ، وأما إدغام الأقوى في الأضعف فلا يحسن ، على أنه قد جاء من ذلك أشياء في القرآن بنقل النقات ، فوجب قبولها وإن كان غيرها أفصح وأقيس.^(٧)

وروي عن أبي عمرو أنه كان يدغم التاء في أختها في مواضع من القرآن الكريم ، ولا يدغمها في مواضع أخرى ، فمن أمثلة ما يدغمه قوله (ذات الشوكة تكون) الانفال ٧/٨ والتاء في (الشوكة) مما تنقلب في الوقف هاء ، وجملة الجميع أربعة عشر. ومن أمثلة ما امتنع إدغامه قوله (أفأنت تسمع) يونس ٢١/٢٠ وقوله (كنت تراب) النبأ ٧٨/٤ ؛ بسبب أن التاء الأولى في المثالين للضمير^(٨) وذكر ابن خالويه في الشواذ إدغام التاء في أختها في قوله (كنت تركن) الاسراء ٧٤/١٧ وأما الواو الوارث عن

١- نفسه ٢٠٠/١

٢- نفسه ٢٥/٨ والسبعة ص ٥٧٠ و المبسوط ص ٢٨٩

٣- التمهيد ص ١١١ ، مبدأها من نطق الغار الأعلى ، العين ٥٨/١

٤- النشر ٢٨٧/١

٥- البحر ٢٩٢/٢ و ١٣٢/٥

٦- نفسه ٢٧٢/٦

٧- نفسه ٣٢/٧

٨- النشر ٢٨٠/١ والتيسير ص ٢٠ وإدغام القراء ص ١١

أبي عمرو^(١) على الرغم من كون تائه للضمير.

تاء التانيث

قرأ الحرميان وعاصم وابن ذكوان (أنبتت سبع سنابل) البقرة ٢٦١/٢ بإظهار تاء التانيث عند السين ، وأدغمها الباقون ، ذلك لتقاربهما في المخرج واشتراكهما في صفة الهمس^(٢) كما أدغمها السبعة في الطاء من قوله تعالى: (إذ همت طائفتان) آل عمران ١٢٢/٣ "وعن قالون خلاف ذكرناه في عقد اللآلئ في القراءات السبع العوالي"^(٣) واختلّفوا في إدغام تاء التانيث في ستة أحرف هي: التاء والجيم والزاي والسين والصاد والظاء ، فأدغمها في الستة أبو عمرو والكسائي وحمزة ، وأدغمها الأزرق عن ورش في الطاء فقط. ^(٤)

تاء المضارعة

إذا توالى تاءان ، وكانت أولاهما للمضارعة والثانية زائدة من نحو (تتذكر) فلا إدغام فيهما ؛ لأنك إذا استقلت اجتماع المثلين حذفت الثاني ، فقلت : تذكر لكونه زائدا وليس في حذفه لبس. فالتخفيف بالحذف أولى من الإدغام ^(٥) ، وبهذا قرأ حفص والأخوان (تذكرون) الأنعام ١٥٢/٦ وحيث وقع فحذفوا الذال وحذفوا التاء ^(٦). قال سيبويه: "هي قراءة أهل الكوفة فيما بلغنا" ^(٧).

وفي التاء المحذوفة خلاف أي تاء المضارعة أم تاء (تفعل) ؟ ^(٨) فذهب سيبويه وجمهور البصريين إلى أن التاء الثانية أولى بالحذف ، وذهب الكوفيون إلى أن تاء المضارعة هي المحذوفة ، وحجتهم أنها زائدة ، والزائد أضعف من الأصلي ، وحجة البصريين أن الزائد دخل لمعنى ^(٩).

إن المتكلم على الخيار أمام التاعين إن شاء أثبتهما ، وإن شاء حذف إحداهما إن كانت الأولى للمضارعة والثانية زائدة ، أما إن كانت الثانية أصلية نحو (تتابع) فالمتكلم يختار إما الإظهار فيقول: (تتابع) ، وإما الإدغام ، ويحتاج إذ ذاك إلى همزة وصل^(١٠) فيقول : (تابع) هذا في الماضي. أما في المضارع فإنه لا يجوز ، لأن همزة الوصل لا تدخل عليه فلا يقال : أتذكر في المضارع.

١ - شواذ ابن خالويه ص ٧٧

٢ - البحر ٣٠٤/٢ وينظر تفسير القرطبي ٣٠٤/٣ وغيث النفع ، ص ١٦٩

٣ - نفسه ٤٦/٣

٤ - النشر ٥-٤/٢ و إيضاح الرموز ص ١٠٢ والاتحاف ص ٢٨

٥ - الممتع ٦٣٦/٢

٦ - البحر ٢٥٣/٤

٧ - الكتاب ٤٧٧/٤

٨ - البحر ٢٥٣/٤

٩ - الانصاف ، المسألة ٩٣ ، ج ٦٤٨/٢ وينظر حاشية الصبان ٢٦٣/٤

١٠ - الممتع ٦٣٦/٢ وحاشية الصبان ٢٦٣/٤ وتقريب المقرب ص ١٢١

قرأ الجمهور (فكيف إذا توفتهم الملائكة) محمد ٢٧/٤٧ ماضيا بصيغة تفعل ،
قرأ الأعمش (توفاهم) فاحتمل أن يكون ماضيا (توفى) أو مضارعا (تتوفى) حذف
ه التاء للتخفيف (1) وهذا من تداخل الصيغ بسبب الجوازات ، فتفتح فيها أبواب
التأويل والتقدير فتسوغ الدلالات وتتفرع.

و قرئ (لاتناصرون) الصافات ٢٥/٢٧ بقاء واحدة ، وبتأين ، وبإدغام إحداهما
في الأخرى (2). وأظهر الجمهور التأين في قوله تعالى : (فلا تتناجوا) المجادلة ٩/٥٨
وإدغمهما ابن محيصن (3) وقال في شأنهما سيبويه : "إن شئت أسكنت الأولى للمد ،
وإن شئت أخفيت وكان بزنته متحركا ، وزعموا أن أهل مكة لا يبينون التأين" (4).

تاءات البزي

نقل عن البزي أنه قرأ (ولاتيموا) البقرة ٢٦٧/٢ بتشديد التاء (5) وكذلك في قوله (فتفرق
بكم) الانعام ١٥٣/٦ (6) وفي قوله (فاذا هي تلقف) الأعراف ١١٧/٧ وذلك بإدغام تاء المضارعة في
تاء الفعل - وهي زائدة - وقرأ باقي السبعة بقاء واحدة على التخفيف بالحذف (7).

واشتهر البزي من بين القراء بإدغام التاء في التاء في مواضع كثيرة من القرآن
حتى صارت تعرف بتاءات البزي هكذا قال ابن الجزري (8). وحدد أبو حيان
مواضعها في سور القرآن وضمنها منظومته في القراءات التي سماها "عقد اللآلي في
القراءات السبع العوالي" (9) وهي (طويل) :

- ١- تولوا بأنفال وهود هما معا .. ونور وفي المحنة بهم قد توصلا
- ٢- تنزل في حجر وفي الشعراء معا .. وفي القدر في الأحزاب لا أن تبدلا
- ٣- تبرجن مع تناصرون تنازعوا .. تكلم مع تيمموا قبلهن لا
- ٤- تلقف أنى كان مع لتعارفوا .. وصاحبتيها فتفرق حصلا
- ٥- بعمران لاتفرقوا بالنساء أتى .. توفاهم تخيرون له انجلا
- ٦- تلهي تلقونه تلظى تربصو .. ن زد لا تعاونوا تميز تكملا
- ٧- ثلاثين مع إحدى وفي اللات خلفه .. تمنون مع مابعد ظلمت تنزللا
- ٨- وفي بدئه خفف وإن كان قبلها .. لدى الوصل حرف المد مد وطولا

١ - البحر ٨٤/٨

٢ - نفسه ٢٥٧/٧

٣ - نفسه ٢٢٦/٨

٤ - الكتاب ٤٤٠/٤

٥ - البحر ٣١٧/٢ و اعراب النحاس ٢٢٦/١ والمبسوط ص ١٥٢-١٥٣

٦ - نفسه ٢٥٤/٤ و ١٠٥/٨-٢٢٨

٧ - نفسه ٢٦٣/٤ وحجة أبي زرعة ص ٢٩٢

٨ - النشر ٣٠٣/١

٩ - البحر ٣١٧/٢

وتخريج هذه المواضع بحسب ترتيب أبي حيان لها في منظومته كالآتي :

- ١- (ولا تولوا) ٢٠/٨ و (تولوا) ٥٧-٢/١١ و (فإن تولوا) ٥٤/٢٤ و (إن تولوهم) ٩/٦٠
- ٢- (ما تنزل) ٨/١٥ و (تنزل) ٢٢١/٢٦ ، ٢٢٢ (تنزل) ٤٩٧ و (تبذل) ٥٢/٢٣
- ٣- (لا تبرجن) ٢٢/٢٣ و (لا تناصرن) ٢٥/٢٧ و (لا تنازعوا) ٤٥/٨ و (لا تكلم) ١٠٥/١١ و (ولا تيمموا) ٢٦٧/٢
- ٤- (تلقف) ١١٧/٧ و ٦٩/٢٠ و ٤٥/٢٦ و (لتعارفوا) ١٣/٤٩ و (فتفرق) ١٥٢/٦
- ٥- (ولا تفرقوا) ١٠٢/٣ و (توفاهم) ٩٧/٤ و (تخيرن) ٢٨/٦٨
- ٦- (عنه تلمى) ١٠/٨٠ و (إذ تلقونه) ١٥/٢٤ و (نارا تلتطى) ١٤/٩٢ و (هل تربصون) ٥٢/٩ و (ولا تعاونوا) ٢/٥ و (تميز) ٦/٦٧
- ٧- (ولقد كنت تمنون الموت من قبل أن تلقوه) ١٤٣/٢ و (فظلتم تفكهون) ١٥/٥٦

وجملة هذه التاءات في واحد وثلاثين موضعا ، اتفقت كتب القراءات على تسع وعشرين منها ، واختلفت مع أبي حيان في الموضوعين الأخيرين : (آل عمران والواقعة) . فجاء في التيسير (ولا تنابزوا) الحجرات ١١/٤٩ (ولا تجسسوا) الحجرات ١١/٤ في مكانهما ، وجعل الداني مذكره أبو حيان في الموضوعين الأخيرين مما زاده أبو الفرج النجاد المقرئ عن قراءته على أبي الفتح بن بدهن عن أبي بكر الزيني عن أبي ربيعة عن البزي^(١) . قال الداني : "وذلك قياس قول أبي ربيعة ، فإن ابتدئ بهذه التاءات خففن لا غير ، وإن كان قبلهن حرف مد زيد في تمكينه ، والباقيون بتخفيف التاء في الباب كله"^(٢) . و مما هو جدير بالتعليق أن ما قبل هذه التاءات متحرك نحو (فتفرق بكم) الأنعام ١٥٢/٦ وساكن من غير حرف المد نحو (فإن تولوا) هود ٢/١١ وحرف مد نحو (ولا تنازعوا) الأنفال ٤٦/٨ فإن كان النحاة اتفقوا على إدغام ما بعد حرف المد فإنهم لم يتفقوا على إدغام ما كان قبله ساكن (غير حرف المد) كراهة اجتماع ساكنين . والملاحظة الثانية نشير إليها بأن لام (هل) تدغم في التاء في قوله (هل تربصون) التوبة ٥٢/٩ و ذال (إذ) تدغم فيها في قوله (إذ تلقونه) النور ١٥/٢٤ ، وذكر كل ذلك في مواضعه من البحث ، ولا شك في أن المدغم للتاء يحتاج إلى جهد أكبر لإظهار اللام والذال قبل التاء المشددة فيقول (هل تربصون) و (إذ تلقونه) فكأنه يسكت سكنا خفيفا قبل النطق بالتاء المشددة ، وهو ما يجعل السامع يتوهم أن المتكلم ابتداءً بالساكن وعليه أن يستعين بهمزة الوصل .

وفي هذا الشأن ينقل أبو حيان نص ابن عصفور : "قال صاحب الممتع : لا يجيز سيبويه إسكان هذه التاء في (تتكلمون) ونحوه ؛ لأنها إذا سكنت احتيج لها ألف وصل ، وألف الوصل لا تلحق المضارع ، فإذا اتصلت بما قبلها جاز ؛ لأنه لا يحتاج إل همزة وصل إلا أن مثل (إن تولوا) هود ٣/١١ و (إذ تلقونه) النور ١٥/٢٤ لا يجوز عند البصريين على حال لما في ذلك من الجمع بين الساكنين وليس الساكن الأول حرف مد ولين"^(٣) .

١ - التيسير ص ٨٣-٨٤

٢ - نفسه ص ٨٤

٣ - البحر ٢٣١٧/٢-٣١٨ والنص نفسه في الممتع ٧٢٢-٧٢١

والحقيقة أن هذا مذهب سيبويه وجمهور البصريين قال : "وإذا كان قبل الحروف المتحرك الذي بعده حرف مثله سواء ، حرف ساكن لم يجر أن يسكن [الإدغام] ولكنك إن شئت أخفيت ، وكان بزنته متحركاً من قبل أن التضعيف لا يلزم في المنفصل"^(١).
يرد أبوحيان قياس البصريين و ينتصر للسمع مؤيداً قراءة البزي قال : "وقراءة البزي ثابتة تلقته الأمة بالقبول ، وليس العلم محصوراً ولا مقصوراً على مانقله وقاله البصريون فلا تنظر إلى قولهم : إن هذا لا يجوز"^(٢).
وقفنا فيما سبق على ثلاثة أوجه في القراءة : قراءة الإظهار وهي الأصل ، وقراءة حذف إحدى التاءين من أجل التخفيف ، وهو مما جوزه العلماء واستحسنوه وقراءة الثالثة - وهي محل الخلاف - بإدغام التاء في أختها ، واشتهر بها قراء مكة ، وذلك ما يؤكد سيبويه بأن أهل مكة لا يبينون.^(٣)
هذا الضرب من الإدغام مخالف لما قرره البصريون في وجوه الإدغام ، فلا يلتقي ساكنان في رأيهم ، وقد صادفنا كثيراً من المواضع التي اجتمع فيها ساكنان على غير الحد الذي أجازوه ، ولكن أباحيان لا يقف عند حدود مارسه علماء البصرة بل من دأبه أن ينتصر للسمع ولو كان في جهة غيرهم فإذا تعارض قياس وسمع انتصر للأخير ، وبخاصة في القراءات القرآنية ، ولعله يشعر بالحرص إن ردها أو خطأ الرواة ، ولذلك جوز قراءة البزي وأعلن صراحة أن مانقله البصريون ليس الغاية في العلم ولا النهاية في القواعد العربية.
إدغام التاء في :

١٨٨ - الدال

الدال من الحروف التي تدغم فيها التاء باتفاق العلماء للمقاربة بينهما ، وبإدغام التاء في الدال قرأ الجمهور قوله تعالى (فأدارأتم فيها) البقرة ٧٢/٢. أصله تدارأتم وهذه قراءة أبي حيوة على وزن تفاعلت ، ولما أدغم صار الحرف الأول ساكناً فاحتيج إلى همزة وصل لئلا يبدأ بالساكن^(٤) وكذلك قرأ ابن محيصن بإدغامهما في قوله تعالى (أفلا يتدبرون) النساء ٨٦/٤ وأظهر ذلك الجمهور^(٥). فالحجة لمن أدغم أنهما قريبتان في المخرج ، ولمن أظهر أنهما متباينتان في الجهر والهمس ، وبمثل القراءة الأولى قرأ الجمهور قوله تعالى (حتى إذا ادركوا فيها جميعاً) الأعراف ٢٨/٧ ، وقال ابن عطية :
وقرأ أبو عمرو (إدركوا) بقطع همزة الوصل.^(٦)

١ - الكتاب ٤/٣٨

٢ - البحر ٢/٣١٨

٣ - الكتاب ٤/٤٤٠

٤ - البحر ١/٢٥٩ وينظر الكتاب ٤/٧٥ ومعاني الأخفش ١/٢٣٨ وأعراب النحاس ١/٢٣٨

٥ - نفسه ٣/٣٠٤-٣٠٥

٦ - نفسه ٤/٢٩٦ وينظر معاني الفراء ١/٤٣٧ وإعراب النحاس ٢/١٥٢

و يستعين أبوحيان بنص لصاحب المحتسب قال أبو الفتح : هذا مشكل ولايسوغ أن يقطعها أرتجالا ، فذلك إنما يجئ شاذا في ضرورة الشعر في الاسم أيضا لكنه وقف مثل وقفة المستكر ، ثم ابتداء فقطع ، وقرأ مجاهد بقطع الألف وسكون الدال وفتح الراء بمعنى أدرك بعضهم بعضا ، وقرأ حميد أدركوا أي أدخلوا في إدراكها. وقال مكى في قراءة مجاهد إنها ادركوا وأصلها اذتكروا وزنها افتعلوا. وقرأ ابن مسعود والأعمش تداركوا ووريت عن أبي عمرو ، وقال أبو البقاء : وقرئ (إذا داركوا) بألف واحدة ساكنة والدال بعدها مشددة وهو جمع بين ساكنين ، وجاز في المنفصل كما جاز في المتصل ، وقد قال بعضهم : اثنا عشر بآثبات الألف وسكون العين. (1)

و يبين أبوحيان مقصد أبي البقاء العكبري بقوله : جاز في المنفصل كما جاز في المتصل وذلك نحو الضالين وجان (2) ولكنه لم يعلق على قراءة أبي عمرو بقطع همزة الوصل ، وكأنه استحسن رأي ابن جني بأنه وقف مستكرا ثم ابتداء فقطع. وذكر السيرافي أن ذلك من ضرورات الشعر ، ومثل له بقول حسان (بسيط) : لتسمعن وشيكا في دياركم :. الله أكبر ، ياثارات عثماننا (3).

قطع همزة الوصل في لفظ الجلالة (الله) كما تقطع في الفصل كقول رجل من بني سليم وهو أنس بن العباس بن مرداس السلمي (سريع) :

لانسب اليوم ولاخلة :. اتسع الخرق على الراقع (4).

قال السيرافي : "إن ألف الوصل قد يكون لها حال تثبت فيها ، وهي أن تكون مبتدأ بها ، فإذا اضطر الشاعر ردها إلى حال قد كانت لها" (5).

والجمهور على أصل قراءته الأولى في قوله (بل أدراك علمهم في الآخرة) النمل ٦٦/٢٧ بإدغام التاء في الدال واجتلاب همزة الوصل ، "وقرأ سليمان بن يسار وأخوه [عطاء بن يسار] (بل أدراك) بنقل حركة الهمزة إلى اللام وشد الدال بناء على أن وزنه (افتعل) فادغم الدال - وهي فاء الكلمة- في التاء بعد قلبها دالا فصار قلب الثاني لأول لقولهم: ارتد وأصله انثرد من الثرد ، والهمزة المحذوفة المنقول حركتها إلى اللام هي همزة الاستفهام أدخلت على ألف الوصل ، فأنحذفت ألف الوصل ثم انحذفت هي ، وألقيت حركتها على لام (بل) (6) ويجوز ألا تكون فتحة لام (بل) حركة نقل ، إنما هي حركة التخلص من النقاء الساكنين وإن كان الأصل فيها الكسر ويؤيده قراءة أبي رجاء والأعرج وشيبة وطلحة وتوبة العنبري وذلك بكسر لام (بل) وقرأ عبد الله في رواية وابن

1 - البحر ٢٩٦/٤ والنص نفسه في المحتسب ٢٤٧/١ والقول ذاته في إملاء العكبري ص ٢٨٠.

2 - نفسه ٢٩٦/٤

3 - السيرافي ، ضرورة الشعر ص ٧٠ وابن عصفور ، ضرائر الشعر ص ٥٣ وفيه (في ديارهم...)

4 - الكتاب ٢٨٥/٢-٢٠٩ وقيل البيت لأبي عامر جد العباس بن مرداس ، ينظر السيرافي ، ضرورة الشعر ص ٧١ وشرح المفصل ١٠١/٢-١٠٣ ومغني اللبيب ٢٢٦/١ والأشمنوني ٦٢٩/١

5 - ضرورة الشعر ص ٧٢ و ضرائر الشعر ص ٥٣-٥٤ و مايجوز للشاعر ص ٨٩

6 - البحر ٩٢/٧ وينظر شواذ ابن خالويه ص ١١٠ وإملاء العكبري ص ٤٧٠.

عباس في رواية وابن أبي جمرة وغيره عنه والحسن وقتادة وابن محيصن (بل أدرك)، وأصله (أدرك) فقلبت الثانية ألفا تخفيفا كراهة الجمع بين الهمزتين ، وأنكر أبو عمرو هذه الرواية ووجهها ، وقال أبو حاتم : لا يجوز الاستفهام بعد (بل) لأن (بل) إيجاب والاستفهام في هذا الموضع إنكار بمعنى لم يكن كقوله تعالى (أشهدوا خلقهم) الزخوف ١٩/٤٣ أي لم يشهدوا فلا يصح وقوعهما معا للتنافي الذي بين الإيجاب والإنكار. (1)

إن الإشكال يحصل عندما تردف (بل) الإيجابية بهمزة الاستفهام ، ولا يستقيم المعنى إلا بتأويل ، يمكن أن يكون على ترك الكلام الأول وهو قوله : (وما يشعرون أيان يبعثون) واعتقد أن تمام الآية (بل أدرك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم منها عمون) يؤيده ، وهذا ما ذهب إليه أبو حيان في جواز الاستفهام بعد بل ، قال : "وقد أجاز بعض المتأخرين الاستفهام بعد (بل) وشبهه بقول القائل : أخبرا أكلت بل أماء شربت ؟ على ترك الكلام الأول والأخذ في الثاني" (2)

٢٨ - الدال

أدغمت التاء في الدال كثيرا في أي القرآن الكريم وذلك للمقاربة بينهما، ومن أمثلته قوله تعالى (لعلكم تذكرون) الانعام ٥٢/٦ فقرأ حفص والأخوان بتخفيف الدال ، وحيث وقع ، وأصله (تتذكرون) فحذفت منه التاء للتخفيف، وقرأ باقي السبعة بإدغام التاء في الدال. (3) وكذلك قرأ حمزة والكسائي عن عاصم بالتشديد إذا كان بالياء في كل القوآن (4) ونص أبو حيان على قراءة التخفيف لقوله تعالى (قليلًا ماتذكرون) الأعراف ٣/٧ وهي لحفص والأخوين كما ذكر سابقا ، وابن عامر كذلك ولكن بالياء بدل التاء. وقرأ باقي السبعة بتاء الخطاب وتشديد الدال ، وقرأ مجاهد كذلك ولكن بالياء وقرأ أبو البرداء وابن عباس وابن عامر - في رواية - بتأعين على الأصل (5).

والملاحظة التي تذكر في هذا المجال أن من قرأ بالتخفيف قرأ بالتشديد إذا كان الفعل المضارع بياء الغائب ، وتوجيه ذلك أن المعنى واحد في الحذف والإدغام ، وكلاهما تخفيف تجيزه قوانين اللغة ، وينزع إليه المتكلمون نزوعا مستمرا ما أمكنهم السبيل إليه ، وإن كان الحذف أخف لأنه الأقل في اللفظ. والملاحظة الثانية التي نود الإشارة إليها هي أن العلماء اختلفوا في التاء التي تحذف ، ونرجح أن يكون ما يدغم هو ما يحذف، ومن هنا تصير التاء الثانية أولى بالحذف لأنها هي التي تدغم ، وهي زائدة في المبنى، أما تاء المضارعة فقد جئ بها لمعنى الصيغة. وليس أمر الإدغام هنا على إطلاقه ، فقد ذكر أبو حيان أن الجمهور قرأ (ولاهم

1 - البحر ٩٢/٧ والكتاب الموضح ٩٦٩/٢ والاتحاف ص ٢٣٩ وحجة ابن خالويه ص ٢٧٣

2 - نفسه ٩٢/٧ ومعاني الفراء ٢٩٩/٢ وإعراب النحاس ٢١٨/٢ والتيسير ص ٥٧

3 - البحر ٢٥٣/٤

4 - الكتاب الموضح ٥١٢/٢

5 - البحر ٢٦٨/٤

يتذكرون) التوبة ١٢٦/٩ بالإدغام ، وقرأها ابن مسعود (ولا هم يتذكرون) بالإظهار^(١) فوافق بذلك قراءة الجمهور لقوله (مايتذكر فيه من تذكر) فاطر ٢٧/٢٥ بالإظهار، وقرأها الأعمش (مايتذكر فيه من أذكر) بالإدغام وأجتلاب همزة الوصل ملفوظا بها في الدرج^(٢) ولكنه قرأ قوله (أفلا تتذكرون) الجاثية ٢٢/٤٥ بتأعين على الأصل ، وقرأ الجمهور (أفلا تتذكرون) بإدغام التاء في الذال وقرأها الجحدري (أفلا يتذكرون) ثلاثيا^(٣) كما أظهر التاء أبي في قوله تعالى (لعلكم تتذكرون) الذاريات ٤٩/٥١^(٤) وخفف طلحة في قوله (قلولا تتذكرون) الواقعة ١٢/٦٥ ثلاثيا وبالإدغام قرأ الجمهور^(٥) هذه كما قرأ قوله (قليلًا ما تتذكرون) الحاقة ٤٢/٦٩ وقرأها أبي بتأعين على الأصل^(٦) وروي عن أبي جعفر (وما تتذكرون) المدثر ٥٦/٧٤ بإدغام التاء في الذال ، وأبو حيون كذلك ولكن بالياء في الأول بدل التاء والمعنى واحد^(٧) والإدغام قراءة الجمهور كما في قوله تعالى (أو يذكر) عبس ٤/٨٠ وقرأ الاعرج وعاصم في رواية (يذكر) ثلاثيا^(٨).

إن القراءات التي دونها أبوحيان وذكرناها في هذا الموضع تبيحها قوانين العربية وتوافق مرسوم المصحف ولا تخالفه إذا اعتمدنا على أن الشكل والنقطة إجراء متأخر دعت إليه الحاجة للإبانة والتوضيح.

ونستأنس بقراءة أبي بالإظهار على أنها أصل لغة الحجاز ، ويحذف إحدى التآعين تحفيف يلجأ إليه متكلمو العربية وبخاصة إذا كثر استعمالهم للفظ ، وبالإدغام مذهب في الأداء النطقي أخذت به قبائل بدوية كتميم وأسد وغيرهما.

هذا إدغام التاء في الذال في كلمة واحدة، ومثال ذلك في كلمتين قوله تعالى (فالتاليات ذكر) الصافات ٢٢/٣٧ وبالإدغام قرأها ابن مسعود ومسروق والأعمش وأبو عمرو وحمزة^(٩) كما قرأ أبو عمرو وحمزة (والذاريات نروا) الذاريات ١٠/٥١ بتشديد الذال^(١٠).

٣٠٨ الزاي

تدغم التاء في الزاي من ذلك قراءة الجمهور لقوله تعالى (وأزينت) يونس ٢٤/١٠

١ - نفسه ١١٦/٥ - ١١٧

٢ - نفسه ٣١٦/٧ وينظر ٤١٩/٧ (الزمر ٩/٢٩)

٣ - نفسه ٤٩/٨ ، وينظر ٢١١/٨ (الواقعة ١٢/٦٥)

٤ - نفسه ١٤٢/٨

٥ - نفسه ٢١١/٨

٦ - نفسه ٣٢٩/٨ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو بخلاف عنهما والجحدري والحسن بالياء وتشديد

الذال وباقي السبعة كذلك ولكن بالتاء بدل الياء ، ينظر البحر ٣٢٩/٨

٧ - نفسه ٣٨١/٨

٨ - نفسه ٤٢٧/٨

٩ - نفسه ٣٥٢/٧ والاتحاف ص ٢٤

١٠ - نفسه ١٣٣/٨ والاتحاف ص ٢٤

وأصله تزينت ، فادغمت التاء في الزاي ، فاجتلبت همزة الوصل لضرورة تسكين الزاي عند الإدغام وقرأ أبي وعبدالله وزيد بن علي والأعمش (وتزينت) على وزن (تفعلت) وقرأ سعد بن أبي وقاص وأبو عبدالرحمن وابن يعمر والحسن والشعبي وأبو العالية وقتادة ونصر بن عاصم وابن هرمز وعيسى الثقفي (وازينت) على وزن (افعلت) كأحمد الزرع أي حضرت زينتها وحانت وصحت الياء فيه على جهة الندور كاعبلت [اغبلت] المرأة ، والقياس (وأزانت) ^(١).

وقرأت فرقة (وازينت) والأصل (وتزينت) فادغم بوزن تفاعلت وقرأ أشياخ عوف بن أبي جميلة (وازيانت) فقال ابن عطية : وهي قراءة أبي عثمان النهدي ^(٢).

قرأ الحرميان وأبو عمرو (تزاور) الكهف ١٨/٧ بإدغام تاء (تفاعل) في الزاي ، وقرأ الكوفيون وجماعة ^(٣) بتخفيف الزاي إذ حذفوا التاء ^(٤) وقرأ الجمهور (ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه) فاطر ٢٥/١٨ بالإظهار ، وقرأ العباس عن أبي عمرو (ومن تزكى فإنما يتزكى) بالياء والإدغام أصلهما (يتزكى) وقرأ ابن مسعود وطلحة (ومن ازكى) بإدغام التاء في الزاي واجتلاب همزة الوصل في الابتداء ^(٥).

قرأ الجمهور (تكاد تميز) الملك ٦٧/٨ بتاء خفيفة والبري بشدها (تميز) وطلحة بتاعين على الأصل ^(٦) كما أدغمت التاء في الزاي في قوله (يا أيها المزمّل) المزمّل ٧٣/١ وقرأ أبي (المزمّل) على الأصل ، وعكرمة بتخفيف الزاي ^(٧) كما أدغمت التاء في الزاي من كلمتين في (فالزاجرات زجرا) الصافات ٣٧/٢ وهي قراءة ابن مسعود وأبي عمرو وحزمة والأعمش ومسروق ^(٨).

٤٨٨ السين

تدغم التاء في السين لأنهما من حروف طرف اللسان وأصول الثنايا ، وأنهما مهموسان من ذلك قراءة أبي لقوله تعالى (لم يسنه) البقرة ٢/٢٥٩ بإدغام التاء في السين كما قرئ (لايسمعون) الصافات ٢٧/٨ والأصل لايسمعون ^(٩). وقرأ الجمهور من السبعة (تساعلون) النساء ٤/١ بإدغام التاء في السين وقرأ الكوفيون

^١ - البحر ٥/١٤٣ وينظر الكتاب ٤/٧٥؛ وأعراب النحاس ٢/٢٥١ وشواذ ابن خالويه ص ٥٦ والاتحاف ص ٢٤٨

^٢ - نفسه ٥/١٤٣

^٣ - وهم الأعمش وطلحة وابن أبي ليلى وابن مناذر وخلف وأبو عبيد وابن سعدان ومحمد ابن عيسى الاصميهاني وأحمد بن جبير الأنطاكي ، البحر ٦/١٠٧

^٤ - نفسه ٦/١٠٧ وينظر اعراب النحاس ٢/٤٥١ وحجة أبي زرعة ص ٤١٣ والكتاب والموضح ٢/٧٧٦

^٥ - نفسه ٧/٣٨ و ٨/٢١؛ (النازعات ٧٩/١٨)

^٦ - نفسه ٨/٢٢٩

^٧ - نفسه ٨/٣٦٠

^٨ - نفسه ٧/٢٥٢ ، والاتحاف ص ٢٤

^٩ - نفسه ٢/٢٩٢ والكشاف ١/١٤٨ وحجة أبي زرعة ص ١٤٣

بتخفيف السين ، وأصله (يتساءلون) قال ابن عطية : حذفوا التاء الثانية تخفيفاً وهذه (تاء) تتفاعلون تدغم في لغة وتحذف في أخرى لاجتماع حروف متقاربة، قال أبو علي : وإذا اجتمعت المتقاربة خففت بالحذف والإدغام والابدال (1).

ويحاول أبو حيان أن يفصل القول في أقوال سابقيه الذين نقل آراءهم في تفسيره فقال : "أما قول ابن عطية : حذفوا التاء الثانية فهذا مذهب أهل البصرة ، ومذهب هشام بن معاوية الضرير الكوفي إلى أن المحذوفة هي الأولى ، وهي تاء المضارعة ، وهي مسألة خلاف ذكرت دلائلها في علم النحو وأما قوله وهذه (تاء) تتفاعلون تدغم في لغة وتحذف في أخرى كان ينبغي أن ينبغي أن يذهب على الإثبات ، إذ يجوز الإثبات وهو الأصل ، والإدغام وهو قريب من الأصل إذ لم يذهب الحرف إلا بأن أبدل منه مماثل مابعده وأدغم والحذف لاجتماع المثلين.

وظاهر كلامه اختصاص الإدغام والحذف بـ (يتفاعلون) وليس كذلك. أما الإدغام فلا يختص به ، بل ذلك في الأمر والمضارع والماضي واسم الفاعل واسم المفعول والمصدر وأما الحذف فيختص بما دخلت عليه التاء من المضارع [...] بل الحذف لاجتماع متمثلة لا متقاربة [...] وأما قول أبي علي : إذا اجتمعت المتقاربة فكذا فلا يعني أن ذلك حكم لازم إنما معناه أنه قد يكون التخفيف بكذا فكم وجد من اجتماع متقاربة لم يخفف لا بحذف ولا إدغام ولا بدل". (2)

قرأ الجمهور (تساقط) مريم ٢٥/١٩ بإدغام التاء في السين وقرأ أبو السمال (تتساقط) على الأصل وقرأ البراء بن عازب والأعمش في رواية (يساقط) مضارع (اساقط) (3) وقال سيبويه : "والبيان عربي حسن لاختلاف المخرجين" (4).

قرأ عبدالله (وليساعلون) الأنبياء ١٠١/٢١ بإدغام التاء في السين (5) وكذلك قرأ طلحة قوله تعالى (يساعلون) القصص ٦٦/٢٨ (6) كما قرأ عبدالله وابن جبير (يساعلون) النبأ ١/٨٧ وأصله يتساءلون (7). هذا إدغام التاء في السين في كلمة واحدة ومثالها في كلمتين قوله تعالى (خمسة سانسهم) الكهف ٢٢/١٨ فقرأها ابن محيصن بإدغام التاء في السين ، وعنه أيضاً إدغام التتوين في السين بغير غنة (8).

1 - نفسه ١٥٦/٣ والتيسير ص ٩٣

2 - نفسه ١٥٦/٣-١٥٧ وينظر إعراب النحاس ٣٠/١ وحجة أبي زرعة ص ١٨٨ ، قرأ ابن عباس وابن وثاب وعبدالله بن مسلم وطلحة والأعمش وحزمة والكسائي وحفص (لايسمعون) الصافات ٨/٢٧ بإدغام التاء في السين ، البحر ٣٥٣/٧

3 - نفسه ١٨٤/٦ وينظر أعراب النحاس ١٢/٣

4 - الكتاب ٤٦٣/٤

5 - البحر ٤٢١/٦

6 - نفسه ١٢٩/٧

7 - نفسه ٤١١/٨

8 - نفسه ١١٤/٦

لقد عرفنا مما سبق من قراءات أن التاء تدغم في السين كما تظهر عندها ، وهو عربي حسن لاختلاف المخرجين كما قال سيبويه.

٨- الشين

تدغم التاء في الشين إذا اجتمعتا في كلمة ، كما يجوز حذف التاء أو الإظهار ، من أمثلة ذلك أن الجمهور قرأ (إن البقر تشابه علينا) البقرة ٧٠/٢ وقرأ الحسن (تشابهه) مضارعاً محذوف التاء ، وقرأ الأعرج (تشابه) وأصله (تشابهه) فادغم التاء في الشين ، وابن مسعود مثله ، ولكن بالياء وقرأ ابن أبي إسحق (تشابهت) ماضياً بتشديد الشين. وكل ظاهر ماعدا قراءة ابن أبي إسحق (تشابهت) فقال بعض الناس : لاوجه لها ؛ لأن فيها إدغام التاء في الشين ، والماضي لا تكون فيه تاءان ، فتبقى إحداهما وتدغم الأخرى^(١) وقال القرطبي "وفي مصحف أبي تشابهت قال أبو حاتم: وهو غلط لأن التاء في هذا الباب لا تدغم إلا في المضارعة"^(٢) وقال أبو عمرو الداني: وذلك غير جائز لأنه فعل ماضٍ يعني أن اجتماع التاءين المزيديتين لا يكون في الماضي إنما يكون في المضارع نحو (تشابهه) وحينئذ يجوز فيه الإدغام ، أما الماضي فليس أصله تشابهه^(٣). ويجتهد أبو حيان في تخريج قراءة ابن أبي إسحق ، وينفذ بذكائه إلى تأويل لغوي يجعل لهذه القراءة وجهاً مقبولاً على الأقل في هذا الموضع ، يقول : "يمكن أن توجه هذه القراءة على أن أصله (تشابهت) والتاء هي تاء (البقرة) وأصله (إن البقرة تشابهت) ويقوي ذلك لحاق التانيث في آخر الفعل ، وأن تشابهت أصله تشابهت فادغمت التاء في الشين واجتلبت همزة الوصل. فحين أدرج ابن أبي إسحق القراءة صار اللفظ (إن البقرة تشابهت) فظن السامع أن تاء البقرة هي تاء في الفعل إذ النطق واحد ، فتوهم أنه قرأ (تشابهت). وهذا لا يظن بابن أبي إسحق فإنه رأس في علم النحو"^(٤).

لقد كان ابن أبي إسحق يزري على العرب وعلى من يستشهد بكلامهم كالفرزدق إذا ظهر في كلامهم ما ليس بالمشهور في لغة العرب. فكيف يقرأ قراءة لاوجه لها؟^(٥) ومما ينوه به في هذا الشأن أن أبا حيان براً ابن أبي إسحق من الخطأ لمكانته في علم العربية فتأول وجهاً مرضياً لقراءته يستسيغه القارئ، وبذلك حصرت الكلمة (تشابهت) بين المكتوب والمنطوق، وما حصل فيها من إدغام تجوزة قوانين العربية، ووجهه أن في الشين تفشياً يبلغ مخارج حروف اللسان وأصول التثنية وهي التاء وأمثالها فادغمهن في الشين ولكنه في موضع لاحق يقف عاجزاً لا يجد له تأويلاً كالسابق ليحميه من صفة الخطأ، وإن لم تكن في قراءة ابن أبي إسحق فإنها تتعلق - بلامراء - بالرواة . ذكر أبو حيان أن ابن أبي إسحق وأبا حيوة قرأ قوله تعالى :

١ - البحر ٢٥٤/١ وينظر حاشية الصبان ٢٦٣/٤

٢ - تفسير القرطبي ٤٥٢/١

٣ - البحر ٣٦٧/١

٤ - نفسه ٢٥٤/١

٥ - نفسه ٢٥٤/١

(تشابهت قلوبهم) البقرة ١٨/٢ وهي مماثلة للقراءة الأولى غير أنه وجد لتلك تأويلاً مرضياً ، حيث قدر تاء (أي تاء المفرد) وأدغمها في الشين في درج الكلام ، ولم يجد لهذه تأويلاً مماثلاً فقال : "وقد مر نظير هذه القراءة في قوله (إن البقر تشابه علينا) وخرجنا ذلك على تأويل لا يمكن هنا ، فيتطلب هنا تأويل لهذه القراءة" (١).

ولعل الإشكال يتعلق بوهم الرواة لأن ابن أبي إسحق من العلم ما يجنبه الخطأ في مثلها فإذا جوزت العربية قراءته في الأولى ٧٠/٢ فلا تجوز قراءته في الثانية.

و مما نقله أبو حيان من آيات أدغمت فيها التاء في الشين قوله تعالى : (ويوم تشقق السماء) الفرقان ٢٥/٢٥ "فقرأ الحرميان وابن عامر بالإدغام هنا وفي (ق) وباقي السبعة بحذف تلك التاء" (٢) ولكنه اسقط اسم ابن كثير في الموضع الثاني (سورة ق) ، قال : "وقرأ نافع وابن عامر (يوم تشقق الأرض) ق ٤٤/٥٠ بشد الشين وباقي السبعة بتخفيفها" (٣) وهذا سهو من أبي حيان. فذكر اسم ابن كثير في الفرقان وغفله في سورة (ق). وكتب القراءات نصت عليه (٤) وزاد ابن أبي مريم اسم يعقوب. (٥)

كذلك قرأ الجمهور (يشقق) البقرة ٧٤/٢ بتشديد الشين وأصله (يتشقق) فادغم التاء في الشين ، وقرأ الأعمش (تشقق) بالتاء و الشين المخففة على الأصل ، قال أبو حيان (٦) ورأيتها معزوة لابن مصرف ، وفي النسخة التي وقفت عليها من تفسير ابن عطية مانصه : "وقرأ ابن مصرف (يتشقق) بالنون وقافين والذي يقتضيه اللسان أن يكون بقاف واحدة مشددة (إدغام المضعف) وقد يجئ الفك في شعر ، فإن كان المضارع مجزوما جاز الفك فصيحاً ، وهو هنا مرفوع فلا يجوز الفك إلا أنها قراءة شاذة ، فيمكن أن يكون ذلك فيها وأما أن يكون المضارع بالنون مع القافين ، وتشديد الأولى منهما فلا يجوز ، قال أبو حاتم يجوز (لما تتفجر) بالتاء ولا يجوز (تتشقق) بالتاء لأنه إذا قال (تتفجر) فأنته لتأنيث الأنهار ، ولا يكون في (تشقق) وقال أبو جعفر النحاس : يجوز ما أنكره أبو حاتم حملاً على المعنى لأن المعنى : وإن منها للحجارة التي تتشقق ، و أما يشقق بالياء فمحمول على اللفظ.

ويستحسن أبو حيان هذا الرأي ويسعى إلى الاستدلال على صوابه ، قال : "وهو كلام صحيح ولم ينقل هنا أن أحداً قرأ منها الماء ، فيعيد على المعنى إنما نقل ذلك في قوله : لما يتفجر منه الأنهار ، فكان قوله : يتفجر حملاً على اللفظ ومنها حملاً على المعنى ومحسن هذا هنا أنه ولي الضمير جمع ، وهو الأنهار فناسب الجمع الجمع". (٧)

١ - نفسه ٣٦٧/١

٢ - نفسه ٤٩٤/٦ وحجة أبي زرعة ص ٥١٠ والنشر ٢٢٤/٢ والكتاب الموضح ٩٢٩/٢

٣ - نفسه ١٣٠/٨ وحجة أبي زرعة ص ٦٧٩ و النشر ٢٧٦/٢ و الكتاب الموضح ١٢٠٣/٢

٤ - ينظر حجة أبي زرعة ص ٥١٠ و ٦٧٩ والإتحاف ص ٣٩٩ والسبعة ص ٦٠٧ والنشر ٢٢٤/٢

٥ - الكتاب الموضح ٩٢٩/٢ و ١٢٠٣/٢

٦ - البحر ٢٦٥/١ وأعراب النحاس ٢٣٨/١ والنص نفسه مع بعض التعديل في العبارة.

٧ - نفسه ٢٦٥/١

رفض أبوحيان وغيره قراءة ابن مصرف بإظهار متواتر إدغامه في لغة العرب ، وهو (ينشقق) وحقه أن يقول (ينشق) وطلحة بن مصرف تابعي كبير، له اختيار في القراءة ينسب إليه ووصفوه بأنه أقرأ أهل الكوفة وعنه أخذ الكسائي^(١) ولعل من اختياره قراءة الإظهار وإن خالفت ما اتفقت فيه لغة العرب ، وجاء ذلك في المصحف ، حيث أجمع القراء على الإظهار في قوله تعالى (ومن يشاقق الله) الانفال ١٣/٨ وهي لغة الحجاز ، وبالإدغام لغة تميم^(٢) كقراءة الجمهور (ومن يشاق الله) الحشر ٤/٥٩ ولكن طلحة قرأها بالإظهار^(٣) وكذلك قرأ زيد بن علي (تنشقق) ق ٤/٥٠ ، فك الإدغام نكره أبو علي الأهوازي في قراءة زيد بن علي من تأليفه.^(٤)

كذلك جاء فك الإدغام في لغة الشعر ، وفي هذا الشأن قال سيبويه : "واعلم أن الشعراء إذا اضطروا إلى ما يجتمع أهل الحجاز وغيرهم على إدغامه أجروه على الأصل ، قال الشاعر ، وهو قعنب بن أم صاحب (بسيط) :

مهلا أعاذل فقد جربت من خلقي .. أني أجود لأقوام وإن ضننوا^(٥)

أراد ضننوا فأظهر التضعيف على الأصل ضرورة وكقول أبي النجم العجلي (رجز) :

الحمد لله العلي الأجلل .. الواحد الفرد القديم الأول^(٦).

أراد (الأجل) فأظهرها على الأصل للضرورة.

٢٨٨ الصاد

تدغم التاء في الصاد لقرب المخرجين ، فهما من الثنايا وطرف اللسان^(٧) و حروف طرف اللسان والقم هي الأصل في الإدغام^(٨).

قرأ الكوفيون (أن يصلحا بينهما) النساء ١٢٨/٤ من أصلح ، وهي كذلك في المصحف المطبوع على رواية حفص ، وقرأ باقي السبعة (أن يصلحا بينهما) بتشديد الصاد ، وأصله (يتصلحا) فأدغمت التاء في الصاد وقرأ عبيدة السلماني (يتصلحا) من المفاعلة وقرأ الأعمش (أن يصلحا) ، وهي قراءة ابن مسعود وأصله (تصلح) أدغم التاء في الصاد فأجتلبت همزة الوصل.^(٩) وحجة الكوفيين أن العرب إذا جاءت مع الصلح بـ(بين) قالت: أصلح القوم بينهم ، وأصلح

١ - غاية النهاية ٢٤٣/١

٢ - البحر ٤٧١/٤

٣ - نفسه ٢٤٤/٨

٤ - نفسه ١٣٠/٨

٥ - الكتاب ٢٩/١ و ٣١٦/٣ ، ٥٣٥ وينظر المقتضب ١٤٢/١-١٤٣ والخصائص ١٦٠/١-٢٥٧

٦ - المقتضب ١٤٢/١-١٤٣ و ضرورة الشعر ص ٥٨ والخصائص ٨٧/٣-٩٣ و ضرائر الشعر ص ٢١ والمقرب ١٥٧/٢ و مايجوز للشاعر ص ١٣٣

٧ - الكتاب ٤٦٣/٤

٨ - نفسه ٤٦٢/٤

٩ - البحر ٣٦٣/٣ وأعراب النحاس ٤٩٢/١ والتيسير ص ٩٧ وحجة أبي زرعة ص ٢١٣

الرجلان بينهما ، قال عز وجل (فأصلحوا بينهما) الحجرات ٩/٤٩. وإذا لم تأت بـ (بين) قالت: تصالح القوم وتصلح الرجلان^(١) وحجة باقي السبعة أن المعروف من كلام العرب إذا كان بين اثنين مشاجرة أن يقولوا تصالح القوم فهم يتصالحون^(٢) قال سيبويه: "وحدثنا هارون أن بعضهم قرأ (أن يصلحاً)"^(٣) وهي قراءة عاصم الجحدري^(٤) قال أبو الفتح: "أراد يصطليحاً أي يفتعل، فآثر الإدغام فأبدل الطاء صاداً ثم أدغم فيها الصاد التي هي فاء، فصارت (يصلحاً) ولم يجز أن تبدل الصاد طاء لما فيها من امتداد الصفيراً لا ترى أن كل واحد من الطاء وأختيها والطاء وأختيها يدغم في الصاد وأختيها ولا يدغم واحدة منهن في واحدة منهن، فلذلك لم يجز (أن يطلحاً) وجاز أن يصلحاً"^(٥).

قرأ ابن كثير (كأنما يصعد إلى السماء) الأنعام ١٢٥/٦ بالثلاثي المجرد من صعد وقرأ أبوبكر (يصاعد) أصله يتصاعد فأدغم التاء في الصاد وقرأ باقي السبعة (يصعد) وأصله يتصعد وبهذا قرأ عبدالله وابن مصرف والأعمش.^(٦)

اتفقت المصاحف المطبوعة على قوله (لا يصعدون عنها) الواقعة ١٩/٥٦ بالبناء للمجهول وقرأ مجاهد بإدغام التاء في الصاد ، وأصله (يتصدعون)^(٧) وكذلك أدغمهما الجمهور في قوله (المصدقين والمصدقات) الحديد ١٨/٥٧ وأبي بإظهارهما أي المتصدقين والمتصدقات ، وابن كثير وأبوبكر والمفضل وأبان وأبو عمرو في رواية هارون بخفهما^(٨) كما أظهر الجمهور التاء عند الصاد في قوله (متصدعا) الحشر ٢١/٥٩ وقرأها طلحة بالإدغام^(٩)

قرأ الجمهور (فأصدق) المنافقون ١٠/٦٣ بالإدغام وقرأ أبي وعبدالله وابن جبير (فأتصدق) بالفك على الأصل^(١٠) وشدد الصاد الحرمان وأبو عمرو في قوله (تصدى) عبس ٦/٨٠ وخففها باقي السبعة^(١١).

إن ماسبق ذكره من إدغام التاء في الصاد محصور في كلمة واحدة ، ومثاله من كلمتين قوله تعالى (والصافات صفا) الصافات ١/٢٧ وبالإدغام قرأها ابن مسعود ومسروق

١ - حجة أي زرة ص ٢١٣

٢ - نفسه ص ٢١٤

٣ - الكتاب ٤٦٧/٤

٤ - إعراب النحاس ٤٩٢/١ والإتحاف ص ١٩٤ وشواذ ابن خالويه ص ٢٩

٥ - المحتسب ٢٠١/١

٦ - البحر ٢١٨/٤ والنشر ٢٦٢/٢

٧ - نفسه ٢٠٥/٨

٨ - نفسه ٢٢٣/٨

٩ - نفسه ٢٥١/٨

١٠ - نفسه ٢٧٥/٨

١١ - نفسه ٤٢٧/٨

والأعمش وأبو عمرو وحزمة^(١) ومثال ذلك من الشعر قول تميم بن أبي بن مقبل (كامل) :
فكأنما اغتبقـ(ت) صبير غمامة .. بعرا تصفقه الرياح زلالا^(٢)

وهذا الشاعر من بني العجلان وهم بطن من بني كعب، وهؤلاء من هوازن،^(٣) وهو شاعر مخضرم أدغم التاء في الصاد من كلمتين ، والإدغام ظاهرة بدوية وإظهارهما جائز .

٧٨ - الطاء

تدغم التاء في الطاء على لفظ الطاء لئلا يذهب الإطباق ؛ لأن المطبق أفشى في السمع^(٤) منها قراءة الجمهور لقوله تعالى (أن يطوف بهما) البقرة ١٥٨/٢ بتشديد الطاء وأصله (يتطوف) وماضيه (تطوف) ثم أدغم التاء في الطاء ، فاحتاج إلى اجتلاب همزة الوصل ؛ لأن المدغم في الشيء لا بد من تسكينه فصار اطوف وجاء مضارعه يطوف ، فأنحذفت همزة الوصل لتحسين الحرف المدغم بحرف المضارعة^(٥) .

قرأ حمزة والكسائي وعاصم في رواية أبي بكر والمفضل عنه (حتى يطـهـرن) البقرة ٢٢٢/٢ بتشديد الطاء والهاء وأصله (يتطهرن) وكذا هي في مصحف أبي وعبدالله وقرأ بقاؤون من السبعة (يطهرن) مضارع (طهر) ، ورجح الفارسي (يطهرن) بالتخفيف فهو ثلاثي مضاد (طمئت) وهو ثلاثي ، ورجح الطبري التشديد. وقال هي بمعنى تغتسلن ، وقبل : وقراءة التشديد معناها حتى يغتسلن وقراءة التخفيف معناها حتى ينقطع بمهن قاله الزمخشري وغيره^(٦) .

كما أدغم التاء في الطاء طلحة بن مصرف في قوله (ويحب المطهرين) البقرة ٢٢٢/٢ وأظهرها الجمهور^(٧) وأدغمها سلمان الفارسي في (المطهرون) الواقعة ٧٩/٥٦ ورويت عن الحسن وعبدالله بن عوف^(٨) وكذلك قرأ الجمهور (فأطهروا) المائدة ٦/٥ والأصل (تطهروا) فادغم التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل وقرئ (فأطهروا) من أظهر^(٩) ومن هذا الإدغام قراءة الجمهور (يطيرو الموس) الأعراف ١٣١/٧ وخففها عيسى بن عمر وطلحة بن مصرف جعلها ماضيا: (تطيروا)^(١٠) وشدد الطاء ابن مصرف والأعمش في (يطهروا) التوبة ١٠٨/٩ كما هي قراءة الجمهور لقوله (أطيرنا بك) النمل

٤٧/٢٧

١ - نفسه ٣٥٢/٧ والإتحاف ص ٢٤

٢ - الكتاب ٤٦٣/٤

٣ - قلاند الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان ، ص ١١٦

٤ - الكتاب ٤٦٠/٤

٥ - البحر ٥٧/١ ومعاني الأخفش ٣٤٤/١ وإعراب النحاس ٢٧٤/١

٦ - نفسه ١٦٨/٢ وأعراب النحاس ٣١١/١ والكشاف ١٢٨/١ والإتحاف ص ١٥٧

٧ - نفسه ١٧٠/٢ والكشاف ١٢٨/١

٨ - نفسه ٢١٤/٨

٩ - نفسه ٤٣٨/٢ وأعراب النحاس ١٠/٢

١٠ - نفسه ٢٧٠/٤ والكتاب ٤٧٥/٤

وقرئ بالفك على الأصل^(١) وقرئ بالإدغام (يطوفون) الرحمن ٤/٥٥؛^(٢)

قرأ الجمهور (فما اسطاعوا) الكهف ٩٧/١٨ بحذف التاء للتخفيف وقرأ حمزة وطلحة بإدغامها في الطاء ، وهو إدغام على غير حده ، قال أبو علي : هي غير جائزة وقرأ الأعمش بإظهار التاء من غير حذف على الأصل^(٣).

إن سين استقل ساكنة ، وإذا ادغمت التاء في الطاء صارت ساكنة كذلك ولا يجمع بين ساكنين ، ومن ظن أن حركة التاء تنقل إلى الطاء قبلها وتدغم فخفاً لأن سين هذه الصيغة لم تحرك قط^(٤) والجمع بين ساكنين على غير وجهه لم يجوزه النحاة واختلره أبو عبيد وحكاه عن حمزة ، وروي في لغة الفصحاء^(٥) ورده أبو جعفر النحاس قائلاً : "وهذا الذي حكاه أبو عبيد لا يقدر أحد أن ينطق به لأن السين ساكنة ، والطاء المدغمة ساكنة ، قال سيبويه : هذا محال ؛ إدغام التاء فيما بعدها ، ولا يجوز تحريك السين لأنها مبنية على السكون"^(٦).

والحقيقة أن ما ذهب إليه النحاس ليس على إطلاقه ، فثمة فرق بين القدرة على النطق بالساكنين وبين عادات المتكلمين ، فإذا كان العربي غير معتاد على النطق بالساكنين فإنه يستطيع أن يحمل نفسه على النطق بهما ، قال أبو حيان : "وقد أجاز الكوفيون الجمع بين الساكنين على غير الحد الذي أجازوه البصريون"^(٧).

روي الجمع بين الساكنين في الشعر^(٨) وفي لغة النبي (ص) من ذلك قوله لعمر بن العاص : "تعما بالمال الصالح للرجل الصالح"^(٩) وفي مشهور القراءات على لسان أبي عمرو وقالون و ورش وأبي بكر^(١٠).

وجوز الإمام ابن الجزري الجمع بين الساكنين وعلل له بقوله : "والجمع بينهما في مثل ذلك جائز مسموع قال الحافظ أبو عمرو : ومما يقوي ذلك ويسوغه أن الساكن الثاني لما كان اللسان عنده يرتفع عنه وعن المدغم ارتفاعاً واحدة صار بمنزلة حرف متحرك فكان الساكن الأول قدولى متحركاً"^(١١).

إن النحاة يتشددون في فرض قواعدهم ، فيخطئون كل كلام يخالف قياسهم ، ولو روي عن الفصحاء ، ويصفونه باللحن ، والصواب أن يقولوا غير مقيس فهو من

١ - نفسه ٨٢/٧ والكتاب ٤/٧٥؛

٢ - نفسه ١٩٦/٨

٣ - البحر ١٥٦/٦ والتيسير ص ١٤٦ وشواذ ابن خالويه ص ٨٢ وحجة أبي زرعة ص ٤٣٥-٣٥٢/٣

٤ - ابراز المعاني ٣٥٤/٣

٥ - البحر ٣٢٤/٢ وتفسير النحاس ٤٧٤/٢ والتيسير ص ٨٤ وابرار المعاني ٣٨١/٢

٦ - تفسير النحاس ٤٧٤/٢

٧ - البحر ٤٧/١ و ٤٨-٣٨٨/٣

٨ - ينظر الخصائص ٣٠٦/١ والصاحبي ص ٨ : ولسان العرب (أوب)

٩ - الفائق في غريب الحديث ١١٠/٢ والبحر ٣٢٤/٢

١٠ - البحر ٣٢٤/٢ والكشاف ١٨٢/١ وإدغام القراء ص ٣٦ وينظر البحث ص ٥٣ وما بعدها.

١١ - النشر ٣١٦/٢ وينظر الكتاب الموضح ٣٢٢/١

الشاذ قياساً فقط ولا يمتنع وروده في القرآن وهذا منهج أبي حيان في ترجيح النقل فيقول : "والذي نذهب إليه أن ما صحت الرواية به من إثبات القراء وجب المصير إليه وإن خالف أقول البصريين ورواياتهم" (١).

ليس قول النحاة حجة إلا عند إجماعهم ، ولم يكن إجماع على المنع ، فقد أجاز الكوفيون الجمع بين الساكنين ، وهم شركاؤهم في نقل اللغزة ، ويكفي أن أباعمرو والكسائي والقراء وغيرهم أجازوا هذا الإدغام.

٨٨ - الظاء

تدغم التاء في الظاء فهما من حيز واحد ولا يمتنع بعضهن من بعض في الإدغام (٢) قرأ الكوفيون (تظاهرون) البقرة ٨٥/٢ بحذف التاء للتخفيف وأصله (تتظاهرون) وهي عندنا الثانية لا الأولى خلافاً لهشام إذ زعم أن المحذوفة هي التي للمضارعة الدالة في مثل هذا على الخطاب ، وكثيراً ما جاء في القرآن حذف التاء وكذلك جاء حذفها في الشعر (بسيط) :

تعاطسون جميعاً حول داركم : فكلكم يابني حمدان مزكوم

يريد : تتعاطسون فحذف إحدى التائين (٣) و"كانت الثانية أولى بالحذف لأنها هي التي تسكن وتدغم" (٤).

وقرأ باقي السبعة بتشديد الظاء ، وأبوحيون (تظاهرون) ومجاهد وقتادة باختلاف عنهما (تظهرون) ورويت عن أبي عمرو ، وقرأ بعضهم : (تتظاهرون) على الأصل (٥). قرأ الحرميان وأبو عمرو (تظهرون منهن) الأحزاب ٤/٢٢ وابن عامر (تظاهرون) وحمزة والكسائي (تظاهرون) (٦) ووافقهما ابن عامر في قوله (والذين يظاهرون) المجادلة ٢/٥٨ وقرأ باقي السبعة (يظاهرون) وقرأ ابن وثاب فيما نقل ابن عطية (يظهرون) وفيما حكى أبو بكر الرازي عنه بتخفيف الظاء لحذفهم تاء المطاوعة وشدد الهاء ، وفي مصحف أبي (تتظهرون) (٧) وعن أبي كذلك (يتظاهرون) و(يتظهرون) و(يظاهرون) (٨) وقرأ مجاهد (يظهر) غافرة ٢٦/٤٠ بإدغام التاء في الظاء (٩) وهي قراءة الجمهور لقول تعالى (وإن تظاهروا عليه) التحريم ٤/٦٦ وقرأ عكرمة

١- ارتشاف الضرب ٣٣٩/١ والبحر ٣٢٤/٢

٢- الكتاب ٤٦٤/٤

٣- البحر ٢٩١/١ ومعاني القراء ١٣٨/٣ ومعاني الأخفش ٣١٠/١ وإعراب النحاس ٢٤٣/١

٤- الكتاب ٤٧٦/٤

٥- البحر ٢٩١/١

٦- نفسه ٢١١/٢ و ٢٣٢/٨

٧- نفسه ٢١١/٢

٨- نفسه ٢٣٢/٨

٩- نفسه ٤٦٠/٧

(وإن تتظاهرا) وقرأ أبو عمرو في رواية (وإن تظاهرا) وبتخفيف الظاء قرأ أبو رجاء والحسن وطلحة وعاصم ونافع في رواية (1).

قرأ الجمهور (قالوا ساحران تظاهرا) القصص ٤٨/٢٨ فعلا ماضيا على وزن تفاعل وقرأ طلحة والأعمش (اظاهرا) بهمزة الوصل وشد الظاء، وكذا هي في حرف عبدالله بن مسعود ، فادغم التاء في الظاء فأجتلبت همزة الوصل لأجل سكون التاء المدغمة، وقرأ محبوب عن الحسن ويحيى بن الحرث الذماري وأبو حيوة وأبوخلاد عن اليزيدي (تظاهرا) قال ابن خالويه :تشيده لحن لأنه فعل ماض وإنما يشدد في المضارع وقال صاحب اللوامح: لا أعرف وجهه وقال صاحب الكامل في القراءات: لا معنى له (2) وقال الدماميني وشارح الجامع: إنه شاذ (3) وقال السيوطي :ولا يقاس على شيء من ذلك في الاختيار (4).

إن قراءة (تظاهرا) تطرح مشكلا في الصيغة فإن كان الفعل ماضيا ، كقراءة الجمهور فلا تلحقه التاء في أوله ، ولا إدغام للتاء في الظاء ، وإن كان الفعل مضارعا ، وهو ما يجوز الإدغام فيه فلم حذفت النون ، نون الأفعال الخمسة ؟

ويجتهد أبوحيان كعادته ويؤول هذه القراءة فيقول : "وله تخريج في اللسان ، وذلك أنه مضارع حذفت منه النون ، وقد جاء حذفها في قليل من الكلام وفي الشعر، و(ساحران) خير مبتدأ محذوف تقديره أنما ساحران تتظاهران ، ثم أغمت التاء في الظاء وحذفت النون وروعي ضمير الخطاب ، ولو قرئ (يظاهرا) بالياء حملا على مراعاة (ساحران) لكان له وجه أو على تقدير : هما ساحران تظاهرا" (5).

والحقيقة أن حذف نون الرفع بلا عامل غير مشهور ، قال أبوحيان : "وندر حذف نون الرفع في المضارع المرفوع (6) قال الشاعر (رجز) :

أبيت أسري وتبيتني تذكي .. وجهك بالعنبر والمسك الذكي

أي : وتبيتين تذكين (7).

ولعل النحاة المتأخرين تأثروا بابن مالك من أمثال أبي حيان وابن هشام والسيوطي ، فقد أجاز ابن مالك الاحتجاج بلغة الحديث قال رسول الله (ص) : "والذي نفس محمد بيده

لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا (8) أي لا تدخلون ولا تؤمنون . وقول

1 - نفسه ٢٩١/٨

2 - نفسه ١٤٢/١ وينظر شواذ ابن خالويه ص ١١٣ والكتاب الموضح ٩٨٢/٢

3 - حاشية الصبان ١٠٧/١

4 - الهمع ١٧٦/١

5 - البحر ١٢٤/٧ وجاء حذف نون الرفع في لغة الشافعي ، ينظر الرسالة ص ٥٦٢-٥٩٧

6 - ارتشاف الضرب ٤٢٠/١ وينظر التسهيل ص ١٠ والصبان ١٠٧/١

7 - البحر ٦٣/٦ وينظر الخصائص ٣٨٨/١ والمحاسب ٢٢/٢ والهمع ١٧٦/١

8 - حاشية الصبان ١٠٧/١ وشواهد التوضيح ، ص ١٧١.

عقبة بن عامر : "إنك تبعثنا فننزل في قوم لا يقرؤنا" (1) وماذهب إليه أبوحيان من توجيه لهذه القراءة أولى بالقبول ، وإن كان على اللغة القليلة ، وأدعى إلى عدم المسارعة بالتخطئة.

إدغام تاء الافتعال

تاء الافتعال حرف زائد في صيغة (افتعل) وفروعها ، خصها علماء العربية بحديث مستقل بسبب التغيرات التي تطرأ عليها في بنية الكلمة من دون أخواتها الزوائد لكثرة استعمالها في الكلام العربي. وحديثنا هنا يقتصر على أحوالها في مجال الإدغام ، وقد ذكرنا أحوال إبدالها في الفصل الثالث من هذا البحث.

تدغم تاء افتعل في مجانسها إذا كانت فاء الكلمة تاء نحو اترك وأما إذا كانت عينا فيجوز الإدغام والإظهار مثل افتتل يقتتل ويقتل. (2)

تبدل فاء افتعل تاء ، إذا كانت واوا أو ياء ، وتدغم في التاء مثل اتعد واتسر (3) وتقلب إلى جنس ما قبلها وتدغم فيه إذا كانت فاء الكلمة أحد أحرف الإطباق مثل اصبر واضرب واطهر و اظهر في (اصطبر واضطرب واططهر واطظهر) أو دالا مثل اذان أو ذالا مثل انكر أو زايا مثل ازان أو سينا مثل اسمع أو ثاء مثل ائرد ويجوز الإظهار في المثالين الأخيرين فيقال : استمع وائتد وهي عربية جيدة. (4)

ووجه قلب تاء الافتعال إلى حرف مماثل للفاء خلافا لما هو حق الإدغام في المتقلبين من قلب الأول إلى الثاني لئلا تذهب صفة الإطباق في الأربعة والصفير في الاثنين (5) ؛ لأن الإطباق والصفير من صفات القوة ، وحال الإدغام أن ينقل الأضعف إلى الأقوى في الكثير الغالب ، وربما جاء مخالفا لهذا لعة ، قال مكي : "وليس من أصول كلام العرب أن يردوا الأقوى إلى الأضعف وإنما أصولهم في الحروف إذا أبدلوا أن يردوا الأضعف إلى الأقوى" (6).

وعبر بعض المحدثين من دارسي الأصوات عن هذا الإدغام بمصطلح (المقبل) وهو أن يؤثر الحرف الأول في الثاني كقلب تاء الافتعال إلى جنس الحرف السابق وتدغم فيه ويقابله مصطلح (المدبر) وهو أن يؤثر الثاني في الحرف الأول نحو قصت فتصير الكلمة قصت ، قلب الأول ، وهو الدال ، إلى جنس الثاني وهو التاء وأدغم

1 - د. محمد خير الحلواني ، أصول النحو العربي ص ٥٤ : "قول ابن عباس لعائشة بلغنا أنك تصليها" وقول هرون لعائشة لم تأذني له ؟".

2 - فيه الإظهار والإخفاء ولا إدغام إلا عند بعض العرب. ينظر ، العربية معناها ومبناها ، ص ٢٨٢

3 - الكتاب ٤/٧٣ ، و ارتشاف الضرب ١/١٥٣ و البحر ١/١٩٦ والمنصف ٢/٣١٠

4 - الشافية ٢/٢٨٤-٢٨٥ و ارتشاف الضرب ١/١٥٣ و الممتع ١/٢٨٦-٢٨٧

5 - نفسه ٣/٢٨٦

6 - د. غانم قدوري الحمد ، الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ص ٤٠١

(١) فيه.

كما استخدم علماء العربية في هذا العصر مصطلح التأثر الرجعي والتأثر التقدمي في مقابل المدبر والمقبل^(٢) ، ومنهم من فضل كلمة المماثلة الرجعية والمماثلة التقدمية^(٣). وأجاز سيبويه أن يقال : مترد ومصبر في مترد ومصنبر ، لأن الأصل في الإدغام أن يتبع الأول الآخر ، كما أجاز مدكر في منكر كقولهم مطلم في مظلم^(٤) فالإظهار في مترد عربي جيد والقياس مترد^(٥) و لكن لايجوز في اضطرب : اطوب لأن الضاد لاتدغم في الطاء ، لأنك لو فعلت ذلك لسلبت الضاد تفشيها بإدغامك إياها في الطاء ، وإنما المذهب أن تدغم الأضعف في الأقوى^(٦) كما لايجوز ادجر ولا تاجر في ازدجر ، لأن الزاي لاتدغم في التاء ولا في الدال لئلا يذهب منها الصغير وطول الصوت لما فيها من الانسلا^(٧).

و الجدير بالذكر أن الامام الشافعي - وهو حجازي - جاء في لغته إظهار تاء الافتعال فقال : "ايتفق المقاييسون"^(٨) و "تختلف سنة وتاتفق"^(٩) و "فكل أمره موثق"^(١٠) فلم يدغم التاء في فاء الافتعال وهي واو ، بل قلبت حرفا ليئا من جنس الحركة قبلها. قرأ الجمهور (يخطف أبصارهم) البقرة ٢٠/٢ و قرأ علي وابن مسعود (يخطف) وقرأ أبي (يخطف) وقرأ الحسن (يخطف) والجحدري ولحسن أيضا وابن أبي اسحق (يخطف) وأصله (يخطف) وقرأ الحسن أيضا والأعمش (يخطف) ، وقرأ بعض اهل المدينة (يخطف) ، والتحقيق أنه اختلاس لفتح الخاء لإسكان ؛ لأنه يؤدي إلى التقاء الساكنين على غيرحد التقائهما ، فحذف التاء مع الياء شنوذا كحذفها مع التاء قياسا فعرض إدغام التاء في الطاء فسكنت التاء للإدغام فلزم تحريك ما قبلها فأما بحركة التاء وهي الفتح مبينة أو مختلسة و أما بحركة التقاء الساكنين ، وهي الكسر ، وكسر الياء إتباع لكسرة الخاء^(١١) قال سيبويه : "وقد شبه بعض العرب ممن ترضى عربيته هذه الحروف الأربعة : الصاد والضاد والطاء والظاء في (فعلت) بهن في (افتعل) ولم تترك الفعل على حاله في الإظهار ، فصارعت عندهم افتعل وذلك قولهم فحسط برجلي

١ - برجستراسر ، التطور النحوي ، ص ١٨-١٩

٢ - ابراهيم أنيس ، الأصوات اللغوية ص ١٨١

٣ - أحمد مختار عمر ، دراسة الصوت اللغوي ص ٣٢٥

٤ - الكتاب ٤/٤٦٩

٥ - نفسه ٤/٤٦٧

٦ - المنصف ٢/٣٢٨

٧ - نفسه ٢/٣٣٠

٨ - الرسالة ص ٤٧٩

٩ - نفسه ص ٣١

١٠ - نفسه ص ٢١٣

١١ - البحر ١/٩٠ وينظر معاني القرآن ١/١٨ ومعاني الأخفش ١/٢١٠

وحطط عنه وخبطه وحفظته " (١) يرينون : حصت عنه وخبطته وحفظته.

مال أبوحيان في هذا الموضع إلى عدم تجويز التقاء الساكنين ، ورجح أن تكون الحركة مختلصة على الرغم من هذه القراءة المدنية ، وهو الذي قال في موضع سابق مجوزاً قراءة ورش : "وقراءة ورش (لاتعدوا) النساء ١٥٤/٤ بالجمع بين الساكنين صحيحة لاتدفع باختيار المذهب" (٢).

يحلل أبوحيان صيغة (افتعل) من قوله تعالى (ثم اتخذتم العجل) البقرة ٥١/٢ فيقول : الاتخاذ : افتعال من الأخذ ، وكان القياس أن لا تبدل الهمزة إلا ياء فتقول : يتخذ كهزمة إيمان إذ أصله إيمان وكقولهم : انتزرت افتعل من الإزار ، فمتى كانت فاء الكلمة واوا أو ياء وبنيت (افتعل) منها فاللغة الفصحى إبدالها تاء وإدغامها في تاء الافتعال فتقول : اتصل واتسر من الوصل واليسر ، فإن كانت فاء الكلمة همزة وبنيت (افتعل) أبدلت تلك الهمزة ياء وأقررتها ، هذا هو القياس ، وقد تبدل هذه الياء تاء فتدغم قالوا : أتمن وأصله أئتمن وعلى هذا جاء آخذ. ومما علق بذهني من فوائد الشيخ الإمام بهاء الدين أبي عبدالله محمد بن إبراهيم بن محمد بن أبي نصر الحلبي عرف بابن النحاس رحمه الله ، وهو كان المشتهر بعلم النحو في ديار مصر أن (اتخذ) مما أبدل فيه الواو تاء على اللغة الفصحى ؛ لأن فيه لغة أنه يقال : (وخذ) بالواو فجاء هذا على الأصل في البذل وإن كان مبني على اللغة القليلة ، وهذا أحسن ، لأنهم نصوا على أن أتمن لغة رديئة ، وكان رحمه الله يغرب بنقل هذه اللغة. (٣)

و خرج الفارسي مسألة (اتخذ) على أن التاء الأولى أصلية قالت العرب (تخذ) بمعنى أخذ. قال تعالى (لتأخذن عليه أجرا) الكهف ٧٧/١٨ في قراءة من قرأ. كذلك قال الممزي العبدى واسمه شأس بن نهار (طويل) :

وقد تأخذت رجلي إلى جنب غرزها .: نسيفا كأفحوص القطاة المطوق [المطرق] (٤)
وعقب أبوحيان بقوله : "فعلى قوله التاء أصل وبنيت منه افتعل ، فقلت اتخذ كما تقول اتبع مبني من تبع ، وقد نازع أبو القاسم الزجاجي في (تخذ) فزعم أن أصله (اتخذ) وحذف كما حذف اتقى فقالوا (تقى) واستدل على ذلك بقولهم (تخذ) كما قالوا : يتقى ويتسع بحذف التاء التي هي بدل من فاء الكلمة ، ورد السيرافي في هذا القول وقال : لو كان محذوفاً منه ما كسرت الخاء بل تكون مفتوحة كقاف (تقى) وأما (يتخذ) فمحذوف مثل يتسع ، حذف من المضارع دون الماضي و (تخذ) بناء أصلي. (٥)

١ - الكتاب ٤٧١/٤

٢ - البحر ٤٧/١ و ٢٨٨/٣

٣ - نفسه ١٩٦/١-١٩٧ وينظر الخصائص ٢٨٧/٢ والكتاب الموضح ٧٩٤/٢

٤ - حجة الفارسي ٥٦/٢ ولسان العرب (فحص) وجاء في البحر ١٥٢/٦ : قرأ عبدالله و الحسن وقتادة وابن بحرية (لتأخذن) الكهف ٧٧/١٨ افتعل من تخذ وأدغم التاء في التاء ، والتاء أصل عند البصريين وليس من الأخذ ، ينظر الكتاب الموضح ٧٩٤/٢ وحجة أبي زرعة ص ٢٦

٥ - البحر ١٩٦/١-١٩٧

إن التاء أصل عند البصريين وليس من الأخذ ، وزعم بعضهم أن الاتخاذ افتعال من الأخذ وأنهم ظنوا التاء أصلية. (1)

ومذهب إليه الفارسي والسيرافي وعامة البصريين من أنه بناء أصلي على حده هو الصحيح بدليل ما حكاه أبو زيد وهو يتخذ يتخذ تخذاً ، قال الشاعر :

ولا تكثرن اتخذ العشار فإنها .. تريد مبات فسيحا بناؤها

ونكر المهدوي في شرح الهداية بأن الأصل واو مبدلة من همزة ، ثم قلبت الواو تاء وأدغمت في التاء. فصارت في (اتخذ) أقوال : أحدها التاء الأولى أصل والثاني أنها بدل من واو أصلية والثالث أنها بدل من تاء ، أبدلت من همزة ، والرابع أنها بل من واو أبدلت من همزة. (2)

واختلف في إدغام الضاد في الطاء (المبدلة من تاء الافتعال) فقرأ الجمهور (ثم اضطره) البقرة ١٢٦/٢ وقرأ ابن محيصن (ثم اطره) بادغام الضاد في الطاء خبراً ، وقرأ زيد بن أبي حبيب (ثم اضطره) بضم الطاء خبراً ، وقرأ أبي بن كعب (ثم نضطره) وقرأ ابن عباس ومجاهد وغيرهما (ثم اضطره) على صيغة الأمر فيهما. (3) وقال أبو جعفر النحاس : لا يجوز إدغام الضاد في الطاء ، لأن في الضاد تفشياً فلا تدغم في شيء ولكن يجوز أن تدغم الطاء فيها كما قالوا (اضجع) (4).

ونقل أبو حيان في هذه المسألة قول الزمخشري : ادغام الضاد في الطاء لغة مردولة لأن الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما جاورها ، ولا تدغم هي فيما يجاورها ، وهي حروف (ضم شفر) (5) وهو رأي ابن جني كذلك فيها. (6)

ويرجح أبو حيان البيان في مثل هذه القضية قال : "إذا لقيت الضاد والطاء في كلمة نحو (مضطرب) فالأوجه البيان ، وإن أدغم الثاني قلب الثاني للأول قليل (مضرب) كما قيل (مصبر) في مصطبر (7) ويتخذ من سيبويه سنداً لجواز الإدغام فيها و قد قال بعضهم : مطجع في مضطجع ، ومضجع أكثر وجاز مطجع وإن لم يجز في مصطبر : مطبر ؛ لأن الضاد ليست في السمع كالصا د يعني أن الصفير الذي في الصا د أكثر في السمع من استطالة الضاد" ، فظاهر كلام سيبويه أنها ليست لغة مردولة ألا ترى إلى نقله عن بعض العرب : مطجع وإلى قوله : مضجع أكثر ، فيدل على أن مطجعا كثير ، والأترى إلى تعليقه بكون الضاد قلبت إلى الطاء وأدغمت ولم يفعل ذلك

١- نفسه ١٥٢/٦

٢- نفسه ١٩٧/١ وذهب كانتنيو إلى أن هذا من إدغام الهمزة في تاء صيغ المطاوعة في الفعل (اتخذ) ، ينظر دروس في علم أصوات العربية ، ص ١٣١

٣- البحر ٣٨٤/١ و ٤٩٠ و ٤٢٧/٣ وينظر أعراب النحاس ٢٧٩/١ و ٧/٢

٤- أعراب النحاس ٢٦١/١

٥- البحر ٣٨٦/١ والنص في الكشف ٩٢/١ و المحتسب ١٠٧/١

٦- المحتسب ١٠٦/١-١٠٧

٧- البحر ٣٨٦/١

بالصاد ، وإبداء الفرق بينهما ، وهذا كله من كلام سيبويه ، وهو يدل على الجواز (١) وقد أخرج بعضهم الضاد من ذلك لأنه حكى إدغامها في الطاء في قولهم اطجع من اضطجع. واشدوا قول منظور بن حبة الأسدي (رجز) :

يارب أباز من العفر صدع : تقبض الظل إليه واجتمع

لما رأى أن لادعه ولاشبع : مال إلى أرطاة حقف فاطجع

ويروى (فاضطجع) وهو الأكثر والأفيس ، ويروى كذلك فالطجع بإبدال اللام من الضاد (٢) وتعدد الروايات المختلفة مطعن في حجة الدليل.

وابن محيصن قرأ بالإدغام وهو لغة غير الحجازيين ؛ لأن لغتهم في مثل هذا الفك ، ولو قرأ بلغة قومه لقال (اضطره) كقراءة الجمهور ، وليس الموضع الوحيد الذي قرأه هكذا بالإدغام قوله (فمن اضطر) البقرة ١٧٢/٢ والمائدة ٢/٥ وحيث وقع (٣) ولعلها من تعميم الرواة فيما نقلوا من قراءات.

ويرد أبوحيان على من منع إدغام الأحرف الخمسة (ضم شف) في غيرها بما روي عن القراء من اختلاف فيها ، فقد أدغمت الضاد في الذال في (جعل لكم الأرض ذلول) الملك ١٥/٦٧ رواه اليزيدي عن أبي عمرو وهو ضعيف ، وفي الشين في (فاذا استأذنوك لبعض شأنهم) النور ٦٢/٢٤ و(والأرض شيئا) النحل ٧٢/١٦ ، وهو ضعيف أيضا ، وأما الشين فادغمت في السين ، وروي عن أبي عمرو ، في (إلى ذي العرش سييلا) الاسراء ٢/١٧ والبصريون لا يجيزون ذلك عن أبي عمرو ، وهو رأس من رؤوس البصريين. وأما الفاء فادغمت في الباء في قراءة الكسائي (إن نشأ نخسف بهم) سبأ ٩/٣٤ وهو إمام الكوفيين. وأما الراء فذهب الخليل وسيبويه وأصحابه إلى أنه لا يجوز إدغام الراء في اللام من أجل تكريرها ، ولا في النون ، وأجاز ذلك في اللام يعقوب وأبو عمرو والكسائي والفرء وأبو جعفر الرؤاسي ، وهؤلاء الثلاثة رؤوس الكوفيين ، حكوه سماعا عن العرب. (٤)

تعرض صاحب البحر إلى إدغام هذه الحروف فيما يجاورها ، وذكر الخلاف فيها لنلا يتوهم من قول الزمخشري : "لاتدغم فيما يجاورها" أنه لا يجوز ذلك بإجماع النحاة فليس المنع على إطلاقه ، بل الخلاف ينقض الإجماع.

قرأ الجمهور (واذكروا مافيه) البقرة ٦٢/٢ أمرا من ذكر وقرأ أبي (واذكروا) أمرا من (اذكر) وأصله واذكروا) ثم أبدل من التاء ذال وأدغمت الذال في الذال ، وأكثر الإدغام يستحيل فيه الأول إلى الثاني ، ويجوز في هذا أن يستحيل الثاني إلى الأول ، ويدغم فيه الأول ، ويجوز الإظهار (٥) والذال قريبة المخرج من التاء ولكن لم تدغم

١ - نفسه ٢٨٦/٣ والنص في الكتاب ٧٠/٤ : و ٨٣ وينظر المنصف ٢٢٨/٢ و ٢٢٩ و الشافية ٢٢٦/٣

٢ - المحتسب ١٠٧/١ ، والمنصف ٣٩٢/٢ والخصائص ٦٣/١ و ١٦٣/٣

٣ - البحر ٩٠/١ و ٢٧

٤ - نفسه ٢٨٧/١

٥ - نفسه ٢٤٣/١ وينظر الإتحاف ص ١٢٨

فيها بسبب اختلاف الصفة ، فالأولى مجهورة والثانية مهموسة ولذلك أبدلوها ذالا وأدغموها في الذال.

وقرأ الجمهور (وادكر بعد أمة) يوسف ٥٠/١٢ وأصله (انتكر) أبدلت التاء دالا وأدغمت الذال فيها فصار (ادكر) وقرأ الحسن (وأذكر) بابدال التاء ذالا وإدغام الذال فيها (١) وكذلك قرأ الجمهور (مذكر) القمر ١٥/٥٤ بإدغام الذال في الدال المبدلة من تاء الافتعال ومواضعها في سورة القمر (١٧-٢٢-٢٢-٤٠-٥٠) ، وقرأ فيما نقل ابن عطية بالذال أي (مذكر) وقرئ (منتكر) على الأصل (٢).

وقرأ عاصم في شاذه (فليؤد الذي أوتمن أمانته) البقرة ٢٨٣/٢ بإدغام التاء المبدلة من الهمزة أي (الذتمن) قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر. قال الزمخشري: وليس بصحيح لأن التاء منقلبة عن الهمزة في حكم الهمزة، واتزر عامي وكذلك ربا في رؤيا، وماذكر الزمخشري فيه أنه ليس بصحيح وأن اتزر عامي يعني أنه من أحداث العامة لا أصل له في اللغة. قد ذكره غيره أن بعضهم أبدل وأدغم فقال: اتمن واتزر، وذكر الإدغام في ربا الكسائي (٣) كما قرئ (مافيه مزجر) القمر ٤٠/٤ وأصله (مزتجر فأبدلت تاء الافتعال زيا، وأدغمت الزاي فيها، والمشهور قراءة الجمهور (مزدجر) (٤).

قرأ الجمهور (وما تدخرون) آل عمران ٩٠/٣ وأصله (تنتخرون) من الذخر أبدلت التاء دالا فصار (اندخر) ثم أدغمت الذال في الدال فقيل (ادخر) كما قيل (ادكو) وقرأ أبو شعيب السوسي في رواية عنه (وما تندخرون) من غير إدغام وهذا الفك جائز ، وقراءة الجمهور بالإدغام أجود (٥) ووجه الإدغام أن الذال حرف مجهور لا يجري معه النفس، والتاء حرف مهموس يجري معه النفس ، فأبدلوا من التاء حرفا مجهورا يشبه الذال في جهرها فصار (تندخرون) ثم أدغمت الذال في الدال.

وقرأ ورش (ولاتعدوا) النساء ١٥٤/٤ وأصله (لاتعتوا) فالقيت حركة التاء على العين وأدغمت التاء في الدال، وقرأ قالون بإخفاء حركة العين وتشديد الدال. والنص بالإسكان وأصله أيضا، وقرأ الأعمش والأخفش (لاتعتوا) وقرأ الباكون من السبعة (لاتعدوا) ثلاثيا (٦) وإذا كانت كل قراءة تخالف الأخرى فإن الإخفاء ليس بإسكان للحركة بل هو ضرب من التخفيف يحصل بحذف جزء من الحركة والإسراع بها فلا تتحقق كاملة (٧).

١ - نفسه ٣١٤/٥ وينظر اعراب النحاس ٢٢١/٢

٢ - نفسه ١٧٨/٨ وينظر اعراب الكتاب ٤٦٩/٤

٣ - نفسه ٢٥٦/٢

٤ - نفسه ١٧٤/٨

٥ - البحر ٤٧٦/٢

٦ - نفسه ٢٨٨/٢ والتيسير ص ٩٨ و التحفة المرضيه ٩٥/٢ والمبسوط ص ١٨٢

٧ - الكتاب ٢٠٢/٤ والصناعة ص ٦٤ ومجلة اللسانيات العدد ٦ ص ١٤ و ابراز المعاني ٢٨١/٢

إن الإسكان ثابت عن قالون وكذلك الإخفاء ، فروى عنه العراقيون من طريقه إسكان العين مع التشديد كأبي جعفر سواء ، وروى عنه المغاربة الاختلاس لحركة العين ، ويعبر عنه بعضهم بالإخفاء^(١) والمصحف المطبوع على روايته يؤكد التسكين ، فقد جاءت العين فيه ساكنة : (لاتعنوا).

ونقص الحركة هو الاختلاس عند سيبويه ولا يكون في الفتح لأن الفتح أخف عليه^(٢). قرأ نافع وجماعة من أهل المدينة وغيرهم (مردفين) الأنفال ٩/٨ وباقي السبعة والحسن ومجاهد (مردفين) وقرأ بعض المكيين فيما روى عنه الخليل بن أحمد وحكاه عنه ابن عطية (مردفين) أصله (مرتدين) فادغم التاء في الدال وقال أبو الفضل الرازي : وقد يجوز فتح الراء فرارا إلى أخف الحركات أو لتقل حركة التاء إلى الراء عند الادغام^(٣) وقراءة المكيين برواية الخليل ذكرها سيبويه^(٤) وهي بإدغم التاء في الدال بعد نقل حركتها إلى الراء لئلا يلتقي ساكنان^(٥).

وقرأ الجمهور (أومدخلا) التوبة ٥٧/٩ وأصله مدتل : مفتعل من ادخل وقرأ قتادة وعيسى بن عمر والأعمش (مدخلا) أصله (متدخل) فادغمت التاء في الدال^(٦) كما قوا (وجاء المعذرون) التوبة ٩٠/٩ فاحتمل وزنين :

- ١- أن يكون (فعل) ومعناه تكلف العذر ، ولا عذر له.
- ٢- أن يكون (افتعل) وأصله اعتذر فادغمت التاء في الدال ، ونقلت حركتها إلى العين ، فذهبت ألف الوصل ، ويؤيده قراءة سعيد بن جبير (المعتذرون) وممن ذهب إلى الوزن الثاني الأخفش والفرأ وأبو عبيدة وأبو حاتم والزجاج وابن الأنباري^(٧) وقوا مسلمة (المعتذرون) من تعذر بمعنى اعتذر قال أبو حاتم أراد المعتذرين والتاء لاتدغم في العين لبعدها الخارج ، وهي غلط منه أو عليه^(٨).

وقرأ ورش (أمن لايهدي) يونس ٢٥/١٠ بنقل حركة التاء إلى الهاء وإدغامها في الدال ، وقرأ باقي أهل المدينة (أمن لايهدي) فجمعوا بين ساكنين ، سكون الهاء وسكون الإدغام بعدها^(٩).

واعترض النحاة على هذه القراءة ، وخطأوا قارئها ، ووصفها سيبويه باختلاس الحركة

١ - النشر ٢٥٣/٢ وإبراز المعاني ٨٥/٣

٢ - الكتاب ٢٠٢/٤

٣ - البحر ٤٦٥/٤ والتيسير ص ١١٦ وابن الأنباري ، البيان ٣٨٤/١ والاتحاف ص ٢٣٦

٤ - الكتاب ٤٤٤/٤

٥ - إعراب النحاس ١٧٩/٢

٦ - البحر ٥٥/٥ وأعراب النحاس ٢٢٢/٢

٧ - نفسه ٨٣/٥ ومعاني الفراء ٤٤٨/١ ومعاني الأخفش ٥٥٨/٢ وشواذ ابن خالويه ص ٥٤

٨ - نفسه ٨٤/٥ وأعراب النحاس ٢٣٠/٢ وشواذ ابن خالويه ص ٥٤

٩ - نفسه ١٥٦/٥ والتيسير ص ١٢٢ والتحفة المرضية ١٦٤/٢ وإبراز المعاني ٢٢٤/٣

وبه قرأ أبو عمرو وقالون في رواية ، وقال المبرد : من رام هذا لابد أن يحرك حركة خفيفة ، وقال النحاس : لا يقدر أحد أن ينطق بساكنين متجاورين ، وإن كان لابد من اجتماعهما ، وجب تحريك الهاء بالكسر (لايهدي). قال أبو حاتم هي لغة سفلى مضر ، وبها قرأ حفص ويعقوب والأعمش عن أبي بكر. (1)

والوجه في إسكان الهاء أن الأصل (يهتدي) فأسكنوا التاء إرادة الإدغام ، وأدغموا التاء في الذال ، وتركزت الهاء على حالها فجمع بين ساكنين إلا أنه لما كان لها الثاني مدغما وكان يرتفع اللسان عنه مع المدغم فيه ارتفاعا واحدة صار في حكم المتحرك (2).

والجمع بين الساكنين مسموع في الفصح ، ومروي عن قراء المدينة وحكاة كثير من العلماء والرواة ، منهم الفراء وقال ابن جني معترضا : "الذي يجيزه القراء من اجتماع ساكنين في نحو هذا لا يثبت أصحابنا ، وإنما هو اختلاس وإخفاء فيلطف عليهم ، فيرون أنه إدغام ، وإنما هو إخفاء للحركة وإضعاف للصوت". (3)

سبق لنا أن تعرضنا إلى الجمع بين الساكنين ، ونقلنا آراء العلماء فيه ، واختلافاتهم ، وتحصل لدينا أنه مروي عن الثقات ومسموع في لغة العرب ، ولاسيلا إلى نكرانه ، كما أن الاختلاس مسموع كذلك ، وملاحظ في لغة الناس اليوم ، ومن الصعب إدراكه ؛ فالوجهان عربيان ، و واردان في الفصحى.

اعترض أبو حيان على الزمخشري حين زعم أن التاء تدغم في القاف في مثل قوله تعالى (له معقبات) الرعد ١١/١٢ ذهب الزمخشري إلى أن الأصل معتقبات فأدغمت التاء في القاف (4) قال أبو حيان : "وهذا وهم فاحش : لاتدغم التاء في القاف ولا القاف في التاء لامن كلمة ولا من كلمتين ، وقد نص التصريفيون على أن القاف والكاف يدغم كل منهما في الآخر ولا يدغمان في غيرهما ولا يدغم غيرهما فيهما" (5).

وقرأ الحرمان وأبو عمرو وغيرهم (وهم يخصمون) يس ٤٩/٣٦ بإدغام التاء في الصاد ونقل حركتها إلى الخاء وأبو عمرو أيضا وقالون يخالف بالاختلاس وتشديد الصاد وقرأ باقي السبعة (يخصمون) وكسرت فرقة الياء إتباعا لكسرة الخاء (6) ونسبت إلى أبي بكر في وجهه الثاني (7) وقرأ أبو جعفر (يخصمون) فجمع بين ساكنين ، وروى العراقيون الإسكان عن أبي عمرو ، وروى المغاربة عنه الاختلاس وقرأ أبي (يختصمون) على الأصل (8) وتوضيح ماسبق من قراءات أن من قرأ على الأصل من

1 - البحر ١٥٦/٥ وينظر اعراب النحاس ٢٥٤/٢ ومعاني الفراء ٦٤/١

2 - الكتاب الموضح ٦٢٤/٢-٦٢٥

3 - المحتسب ٦١/١-٦٢

4 - الكشف ١٠١/٢ وينظر البحر ٣٧١/٥

5 - البحر ٣٧١/٥

6 - نفسه ٢٤٠/٧-٢٤١ وينظر النشر ٢٥٤/٢

7 - الإتحاف ص ٣٦٥

8 - البحر ٢٤٠/٧ ، وينظر النشر ٢٤٥/٢ والإتحاف ص ٣٦٥

غير إدغام فهو صحيح وجائز، ومن نقل حركة التاء فضرب من التخفيف وفرار من التقاء الساكنين ، ومن قرأ بالجمع بينهما فمروي ومسموع من الفصحاء ومن اختلس فقد خفف بجزء من ذهاب الحركة ومن كسر حرف المضارعة فلاتباع الحركة.

و- الإدغام في الشفوية (والأسنانية الشفوية)

الأصوات الشفوية هي الباء و الميم و الواو ، فمخرجها من بين الشفتين^(١) و الشفوية الأسنانية هي الفاء، فمخرجها من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنا العليا^(٢).

١-٤ الباء

إذا لقيت الباء مثيلتها وكانت أولاهما ساكنة ، وجب إدغامها بإجماع نحو قوله تعالى (فاضرب بعصاك) البقرة ٦٠/٢ . ويجوز الادغام والإظهار إذا لقيتها ميم أو فاء في مثل قوله تعالى (اركب معنا) هود ٤٢/١١ و مثل (أو يغلب فسوف) النساء ٧٤/٤ . و حجة الإدغام قربهما في المخرج^(٣) و حجة الإظهار اختلاف اللفظين .

أدغم أبو عمرو الباء في الباء من قوله تعالى (لذهب بسمعهم) البقرة ٢٠/٢^(٤) و كذلك (الرعب بما) آل عمران ١٥١/٣^(٥) و شاركه الأعمش في قوله (العذاب بما) الأنعام ٩١/٦^(٦)

وأدغمت الباء في الميم في مثل (يعذب من يشاء) وهي خمسة مواضع لا غير .

آل عمران [١٢٩/٣] وموضعان في المائدة [٤٠ ، ١٨/٥] والعنكبوت [٢١/٢٩] والفتح [١٤/٤٨] . واختصت بالإدغام فيها موافقة لما جاورها وهو [يرحم من . ويغفر لمن] وأظهر ما عدا ذلك نحو (ضرب مثل) لفقد المجاور و ليس في هذا خلاف^(٧).

أدغمت الباء الساكنة في الفاء في خمسة مواضع - وهي جملة ما في القرآن - (وإن تعجب فعجب) الرعد ٥/١٣ و(قال اذهب فمن) الأسراء ٦٢/١٧ و(اذهب فإن لك) طه ٩٧/٢٠ و(ومن لم يتب فأولئك) الحجرات ١١/٤٩ فهي مروية باتفاق عن أبي عمرو والكسائي وباختلاف عن هشام وخلا^(٨) كما روي عن أبي عمرو أنه أدغم الباء في الفاء من قوله تعالى : (و لا ريب فيه) البقرة ٢/٢ . والمشهور عنه الإظهار ، وهي رواية اليزيدي عنه . و قرأه أبو حيان بالوجهين على أبي جعفر بن الطباع بلالأندلس^(٩) ونص عليه الداني فقال : " وأدغم أبو عمرو والكسائي وخلا^(٩) الباء في الفاء حيث وقع نحو قوله تعالى (أو يغلب فسوف) النساء ٧٤/٤ و(من لم يتب فأولئك) الحجرات ١١/٤٩ وشبهه ، وخير خلا^(٩) في الأخيرة " ^(١٠) وذكر سيبويه شيئا من هذا القبيل . قال : " والباء قد تدغم

١ - الكتاب ٤٣٣/٤ .

٢ - نفسه ٤٣٣/٤ .

٣ - نفسه ٤٤٧/٤ و ينظر الممتع ٧١٠/٢ و ارتشاف الضرب ٢٣٤/١ .

٤ - معاني الفراء ١٩/١ و معاني الأخفش ٢١١/١ .

٥ - النشر ٣٠٠/١ .

٦ - البحر ١٣٣/٤ و ينظر اعراب النحاس ٦٧/٤ .

٧ - النشر ٢٨٧/١ .

٨ - النشر ٨/٢ .

٩ - البحر ٣٧/١ .

١٠ - التيسير ص ٤٤/٤٣ .

في الفاء للتقارب ، ولأنها قد ضارعت الفاء فقويت على ذلك لكثرة الإدغام في حروف الفم ، وذلك قولك : اذهب في ذلك ، فقلبت الباء فاء كما قلبت الباء ميما في قولك : اصحطرا أي اصحب مطرا^(١) فليس في ذلك إخلال بالباء بل تقوية لها بقلبها حرفا متفشيا^(٢) . والتفشي من صفات القوة .

٢٤ = الميم :

تخرج الميم بانطباق الشفتين انطباقا يسمح للهواء بالمرور عبر المجاري الأنفية . وهي أخت الباء لأن مخرجهما واحد ، فلولا الغنة التي في الميم وجريان النفس معها لكانت باء^(٣) .

والميم تسكن عند الباء إذا تحرك ما قبلها تخفيفا لتوالي الحركات ، فتخفى إذ ذاك بغنة نحو (يحكم بينهم) و جملته ثمانية وسبعون حرفا ، فإن سكن قبلها أجمعوا على ترك ذلك . وعبر بعض المتقدمين عن هذا الإخفاء بالإدغام^(٤) و ليس في الإدغام الكبير مخفي غير ذلك عند من أخفاه^(٥) .

و اختلف أهل الأداء في الميم الساكنة إذا جاء بعدها باء ، فمنهم من يظهرها ومنهم من يخفيها ومنهم من يدغمها . فالإخفاء مذهب ابن مجاهد وابن بشر وغيرهما . وقال الداني : وإلى إدغامها ذهب ابن المنادي وغيره ، وقال أحمد بن يعقوب التائب : أجمع القراء على البيان وبه قال مكي^(٦) .

تدغم الميم في الميم إذا كانت متحركة و جملته مائة وتسعة وثلاثون حرفا^(٧) . قرأ الجمهور (أمن خلق) النمل ٢٧-٦٠-٦١-٦٢-٦٣-٦٤ في الخمسة مواضع بشد الميم وهي (أم) أدغمت في ميم (من) . وقرأ الأعمش (أمن) جعلها همزة الاستفهام دخلت على (من)^(٨) . وكذلك خفف الميم في قوله (أمن) الصافات ١١/٣٧ جعله استفهاما ثانيًا^(٩) . و قرأ ابن كثير ونافع وحمزة (أمن) الزمر ٩/٣٩ بتخفيف الميم ، وقرأ باقي السبعة (أمن) بإدغام الميم في الميم^(١٠) وكذلك قرأ طلحة^(١١) جعلها (من) دخلت عليها همزة الاستفهام

١ - الكتاب ٤/٤٤٨ .

٢ - الممتع ٧٠٩/٢ .

٣ - التمهيد ص ١٤٣ و ينظر ، تمام حسان ، العربية معناها ومبناها ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٧ .

٤ - النشر ٢٩٤/١ و التمهيد ص ١٤٤ .

٥ - الاحاف ص ٢٤ .

٦ - التمهيد ص ١٤٤ .

٧ - النشر ٢٨٢/١ .

٨ - البحر ٨٩/٧ .

٩ - نفسه ٣٥٤/٧ .

١٠ - نفسه ٤١٨/٧ .

١١ - نفسه ٣/٨ .

وقراءة الإدغام تكون (من) دخلت عليها (أم) المعادلة لأداة الاستفهام .
٢٤ = الواو :

صوت شفوي لا يدغم فيما يقاربه من أصوات وهي الباء والميم والفاء لأنها صحيحة . وأصوات العلة لا تدغم في أصوات الصحة^(١). تدغم الواو في مثلها أو في الباء على لفظ الياء لاشتراكها في الإعلال واللين. وعلل سيبويه الإدغام على لفظ الياء فقال : "الياء أخف عليهم من الواو فتحوا نحوها"^(٢).

و لا يدغم في الواو إلا النون قال سيبويه : "وتدغم النون مع الواو بغنة وبلاغنة لأنها من مخرج ما أدغمت فيه النون . وإنما منعوا أن تقلب مع الواو ميماً أن الواو حرف لين تتجافى عنه الشفتان"^(٣).

إذا سكنت الواو وانضم ما قبلها وأتى بعدها مثلها وجب بيان كل منهما لأن الإدغام هنا غير جائز مثل (أمنوا وعملوا) البقرة ٢٥/٢^(٤). لكون الأولى حرف مد والثانية حرف لين. قال ابن الجزري: "كل حرفين التقياً أولهما ساكن وكانا مثليين أو جنسين وجب إدغام الأول منهما لغة وقراءة، ما لم يكن أول المثليين حرف مد"^(٥) فإذا أنفتح ما قبل الأولى وجب الإدغام لأنها صارت في حكم الصحيح كقوله تعالى (ثم اتقوا واحسنوا) المائدة ١٢/٥^(٦).

نقل أبو حيان إدغام أبي عمرو لواو (هو) في واو (والملائكة) من قوله تعالى : (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة) آل عمران ١٨/٢ وهي مسألة خلاف^(٧).

أدغمت الواو في أختها في ثمانية عشر موضعاً في القرآن الكريم . منها المضموم قبل الواو . وجملته ثلاثة عشر، وبقيتها ساكن قبل الواو ، واختلفوا في مانع الإدغام . فالأكثر منهم على أن ذلك من أجل أن الواو تسكن للإدغام فتصير بمنزلة الواو التي هي حرف مد ولين ، واختار الداني الإدغام لاطراده وجريه على قياس نظائره^(٨) قال " اختلف أهل الأداء أيضاً في الواو من (هو) إذا انضمت الهاء قبلها ولقيت مثلها نحو قوله عز وجل (إلا هو والملائكة) وشبهه فكان ابن مجاهد يأخذ بالإظهار، وكان غيره يأخذ بالإدغام ، وبذلك قرأت وهو القياس"^(٩).

١ - الممتع ٧٠٩/٢

٢ - الكتاب ٣٣٨/٤ ، وينظر الممتع ٥٤٩/٢

٣ - نفسه ٤٥٣/٤

٤ - التمهيد ص ١٤٨ .

٥ - النشر ١٩/٢ .

٦ - التمهيد ص ١٤٨ .

٧ - البحر ٤٠٣/٢ .

٨ - النشر ٢٨٣/١ .

٩ - التيسير ٢١ .

قرأ الجمهور (ثلاثة قروء) البقرة ٢/٢٨٢ على وزن فعول ، وقرأ الزهري (قرو) بتشديد الواو. وروي ذلك عن نافع . وحجته أنه أبدل من الهمزة واوا وأدغم واو (فعول) فيها. وهو تسهيل جائز منقاس^(١) وهي قراءة من يقف على الإدغام فيما آخره همزة بعد ياء أو واو ، فيبدل الهمزة من جنس ما قبلها ويدغمها^(٢). وهو إجراء للوصل مجرى الوقف.

قرأ الجمهور (مرضيا) مريم ١٩/٥٥ بتشديد الياء وقرأ ابن أبي عبلة (مرضوا) بإدغام الواو في الواو ومصححا . وتوجيه قراءة الجمهور أن الواو انقلبت ياء لأنها طرف بعد واو (فعول) بعد قلبها ياء كذلك^(٣). والإدغام على لفظ الياء أخف عليهم ، ومثلها (عتيا) في مريم ١٩/٨ ، ٦٩^(٤).

و شدد الياء أبو جعفر وشيبة في قوله (إياهم) الغاشية ٨٨/٢٥ وأصله أوواب ، فقلبت الواو الأولى ياء لسكونها وانكسار ما قبلها ، واجتمع في هذا البناء والبناءين قبله واو وياء و سبقت إحداهما بالسكون فقلبت الواو ياء وأدغمت في الياء^(٥).

٤.٤ الفاء :

تخرج من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا^(٦) . وعدها قوم من حروف النقشي . وذلك لانتشار الهواء بين اللسان والحنك وأنبساطه في الخروج عند النطق بها حتى يتصل الحرف بمخرج غيره^(٧) .

لا تدغم الفاء في واحد من مقارباتها باتفاق لأن فيها تفشيا ، فلو أدغمتها لذهب ذلك التفشي^(٨) وقد تدغم فيها الباء لا غير^(٩) فنقول : اذهب في ذلك لأنه ليس في ذلك إخلال بالباء بل تقوية بقلبها حرفا متفشيا^(١٠) أما الميم والواو فلا تدغمان في الفاء وإن قاربتهما في المخرج ؛ لأن في الميم غنة ولأن في الواو لينا. والغنة واللين فضل صوت في الحرف فلو أدغمتها لقبلتها فاء فتذهب الغنة واللين فيكون ذلك إخلالا بها^(١١).

١ - البحر ٢/١٨٧.

٢ - الارشادات الجلية ص ١٩١.

٣ - البحر ٦/١٩٩.

٤ - نفسه ٦/١٧٥ و ٨/٤٦٥.

٥ - نفسه ٨/٤٦٥ .

٦ - الكتاب ٤/٤٣٣.

٧ - التمهيد ص ٩٧.

٨ - الممتع ٢/٧٠٩.

٩ - الكتاب ٤/٤٨٨.

١٠ - الممتع ٢/٧٠٩.

١١ - نفسه ٢/٩٠.

تدغم في الفاء نحو اضرب فلانا. وهذا كما تدغم الباء في الميم كقوله اضرب مالكا

ولا تدغم الميم في الباء كقوله : اصمم بك ، لأن الباء انحطت عن الميم بفقد الغنة التي في الميم ^(١). وذهب الداني إلى أن هذا الموضع هو الوحيد الذي أدغم فيه الكسائي الفاء في الباء ^(٢). وضعف الزمخشري هذا الإدغام ^(٣). وحجة إدغام الكسائي أن مخرج الباء من الشفتين ومخرج الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى . فاتفقا في المخرج للمقاربة إلا أن في الفاء تفشيا يبطل الإدغام . فاما إدغام الباء في الفاء فصواب ^(٤).

إن إدغام الفاء في الباء غير جائز لأن في الفاء زيادة صوت لا تكون في الباء ، فهما وإن تقاربتا في المخرج فإن الفاء ينحدر بها الصوت حتى يتناهى إلى مخرج الثاء وليس كذلك الباء . فلزيادة الصوت في الفاء لا يجوز إدغامها في الباء . فإن الحرف إذا كان أزيد صوتا من الآخر وأدغم في الآخر ذهب زيادة الصوت في الإدغام وفي هذا إخراج للحرف عن أصله ^(٥).

و هذا مذهب سيبويه في منع إدغام الفاء في الباء ، لأن الفاء قاربت مخرج الثاء ، فلما صارت كذلك لم تدغم في حرف من حروف الطرفين كما أن الثاء لا تدغم فيه ^(٦) . والتفشي الذي هو في الفاء يبطل الإدغام ^(٧) .

إن النحاة اعترضوا على هذا الإدغام ، وذهب البصريون إلى أنها قراءة شاذة خارجة عن القياس ، وعند الكوفيين جائزة ، وكيف لا ؟ وقد قرأ بها رأس من رؤوسهم . وذهبوا في تعليلهم إلى أن الفاء والباء اشتركتا في المخرج . الباء شديد مجهور ، فهو قوي والفاء رخو مهموس فهو أضعف ، فإذا أدغمته نقلته إلى ما هو أقوى منه وهو طريق الإدغام في الأصل .

يختم أبو حيان حديثه في هذه المسألة بالرد على أبي علي الزمخشري فقال : "والقراءة سنة متبعة و يوجد فيها الفصيح والأفصح . وكل ذلك من تيسيره تعالى القرآن للذكر فلا التفات لقول أبي علي و لزمخشري" ^(٨).

ومنهجه واضح في تسليمه للنقل وتأخيرها للقياس ، وإن كان في قوله (الفصيح والأفصح) إشارة إلى التفاوت ، وهذا من شأنه أن يجعل قراءة الكسائي أقل درجة في الفصاحة .

١ - البحر ٢٦٠/٧ وينظر الكتاب ٤٤٨/٤ و شرح المفصل ١٤٦/١٠

٢ - التيسير ص ١٨٠ وينظر النشر ١٢/٢ ، ٣٤٩ .

٣ - الكشف ٦١/٩ و ينظر البحر ٢٦١/٧ و ادغام القراء ص ٤٨ .

٤ - حجة ابن خالويه ص ٢٩٢ .

٥ - الكتاب الموضح ١٠٤٤/٣ .

٦ - الكتاب ٤٤٨/٤ .

٧ - حجة ابن خالويه ص ٢٩٢ .

٨ - البحر ٢٦١/٧ .